IUG Journal of Islamic Studies
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-5201
P-ISSN: 2410-8715
IUGJEPS
Vol 31, No 1, 2023, pp 202 - 242

Received on (27-03-2022) Accepted on (31-07-2022)

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.31.1/2023/8

Sheikh Mustafa Sabri's position on the belief of the modern mental school in the judiciary and fate

Hussam M. Kurdish*[1], Prof. Saad A. Ashour*[2]
Department of Contemporary Creed and Doctrines - Faculty of Fundamentals of Religion - Islamic University – Gaza[1,2]

*Corresponding Author: Husam_kordia@hotmail.com

Abstract:
This research dealt with the allegations of modern mental school in the judiciary and fate, and demonstrated their shameful attitude to the doctrine of justice and fate - the sixth pillar of faith - following the campaign promoted by orientalists against the doctrine of justice and fate; in which they claimed that the reason for Muslims' delay was a belief in fate and a cause of laziness, lethargy and unemployment s role in responding to them and the suspicions raised by them and influenced by some religious scholars s doctrine ", the research concludes by calling on scientists to revive the doctrine of the judiciary and its considerable impact and motivation to pursue and act with an understanding of its companionship.

Keywords: judiciary and fate, Mustafa Sabri's, the modern mental school, Denial of destiny.

موقف الشيخ مصطفى صبري من معتقد المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر

أ. حسام محمد عطا كردية[1] ، أ.د. سعد عبد الله عاشور[2]
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة-كلية أصول الدين-الجامعة الإسلامية-غزة[1,2]

الملخص:
تناول هذا البحث مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر ، وبَيَّن موقفهم المخزي والمنكر لعقيدة القضاء والقدر - الركن السادس من أركان الإيمان - اتباعاً للحملة التي روجها المستشرقون ضد عقيدة القضاء والقدر؛ التي زعموا فيها أن سبب تأخر المسلمين هو الإيمان بالقدر وأنه مدعاة إلى الكسل والخمول والبطالة، وسر تقدمهم بنبذ تلك العقيدة، ويبين موفق ودور الشيخ مصطفى صبري في الرد عليهم وعلى الشبهات التي أثاروها وتأثر بها بعض علماء الدين، ويختتم البحث بدعوة العلماء إلى إحياء عقيدة القضاء والقدر لما فيها من أثر كبير ودافع للسعي والعمل أسوة بفهم بالصحابة والتابعين لها.

كلمات مفتاحية: القضاء والقدر، مصطفى صبري، المدرسة العقلية الحديثة، إنكار القضاء والقدر، أدلة إثبات القدر.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يهدون بكتاب الله وسنة رسوله الضالين، وينفون عن كتاب الله وسنة رسولهﷺ تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيد الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد...

ظهرت المدرسة العقلية الحديثة في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري في مصر، في أحضان المستعمر الغربي الذي حمل معه موجة من انحرافات عقائدية وثقافية وأخلاقية لا سابق لها مصحوبةً بتقدم علمي مادي في العديد من جوانب الحياة، فكان موقف هذه المدرسة من ذلك الوافد الغربي محاولة التأقلم والتوافق معه ولو على حساب الدين، فدعت هذه المدرسة إلى تجديد الدين في العقائد والمعاملات والعبادات وفق الثقافة الغربية الوافدة، وتأويل كل ما يَتعارَض معها من نصوص شرعيَّة، فتعرضت أركان الإيمان وخاصة عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر لعبث رواد المدرسة العقلية الحديثة، سواء كان بقصد وبتدبير من المنظمات التي شارك فيها رواد المدرسة العقلية كالماسونية، أو بدون قصد نتيجة اتخاذ الناس لهؤلاء الرؤوس الجهال في زمن قبض فيه العلماء وقتِّلوا على يد المستعمرين، فكان الشيخ مصطفى صبري من العلماء النادرين أمثالهم في العطاء والفطنة والذكاء، فأخذ على عاتقه معالجة تلك الانحرافات لوقاية العقيدة من زيغ العقلانيين، والذي رآه يزداد يوماً بعد يوم حتى صار من الأمراض المزمنة التي تعدى تأثيرها إلى علماء الدين، فعمل الشيخ على القضاء على أسس ذلك الزيغ الذي يزعم أصحابه أن مستندهم المنهج العلمي، فكشف عوار مذهبهم، ومآلاته الفاسدة.

ومن هنا يأتي هذا البحث ليدرس موقف المدرسة العقلية الحديثة من عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، ثم يبين دور الشيخ مصطفى صبري في الرد عليهم ودفع شبهاتهم، ويبرز أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة الصحابة رضي الله عنهم وأثره في حياة المؤمنين في عصرنا الحالي.

أسباب اختيار البحث:

تعد الأسباب التالية من أهم الأسباب التي دفعت الباحثين لاختيار هذا الموضوع للدراسة:

1. عدم وجود مؤلف يبين مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر ويبين جهود الشيخ مصطفى صبري في الرد عليهم.
2. انخداع كثير من الناس برموز المدرسة العقلية الحديثة من أهم الأسباب التي دفعت الباحثين للكشف عن حقيقتهم من خلال آراء العلماء المعاصرين لهم كالشيخ مصطفى صبري، ولبيان تهافت ما روجوا له.
3. يريد الباحثان من خلال هذا البحث تبيين خطورة هذه الدعوة التي تأثر بها بعض العلماء ولا يزال يطل علينا من أفراخ العقلانيين من يدعو إليها دون وعي لخطورتها.

مشكلة البحث:

تعد مشكلة إنكار عقيدة القضاء والقدر من المشاكل الخطيرة التي لا يزال يثار حولها الشبهات من أعداء الإسلام وأتباعهم المستغربين، وتزداد خطورتها بارتباطها بالإلحاد وإنكار وجود الله تعالى، وبالرغم من تحذير النبيﷺ ولعن المنكرين للقدر، إلا أنه لا يزال يطل علينا من أفراخ المدرسة العقلية الحديثة من ينكر القدر ويروج لإنكاره، مما يُحتم علينا الرد عليهم، وقد تم اختيار الشيخ مصطفى صبري لبيان جهوده في الرد عليهم لما له من جهود كبيرة في مواجهة العقلانيين وردوده المفحمة التي تعالج المشكلة من أصولها.

حدود البحث:

تتمثل حدود البحث في بيان جهود الشيخ مصطفى صبري في الرد على المدرسة العقلية الحديثة في مسألة القضاء والقدر والرد على المزاعم والشبهات التي أثاروها ضد عقيدة القضاء والقدر.

أسئلة البحث:

1. ما هو موقف المدرسة العقلية الحديثة من عقيدة القضاء والقدر.
2. ما هي مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر.
3. ما هو دور الشيخ مصطفى صبري في الرد على المدرسة العقلية الحديثة في مسألة القضاء والقدر.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. بيان خطر هذه الدعوة على أصول الاعتقاد عند المسلمين.
2. بيان الخلل الذي وقع فيه منكرو عقيدة القضاء والقدر.
3. تحصين المجتمعات الإسلامية من مثل هذه الدعوات الانهزامية المتساوقة مع الحملات الغربية ضد الإسلام.
4. بيان جهود الشيخ مصطفى صبري في الرد على المدرسة العقلية الحديثة، وإحياء لتراثه الإسلامي الزاخر بالردود القوية والمظهرة لحقيقة رواد المدرسة العقلية دون تجنٍ عليهم.
5. بيان أهمية الإيمان بالقضاء والقدر وأثر ذلك على دفع المسلم للعمل والاجتهاد، أسوة بفهم الصحابة والسلف لهذه العقيدة مما يحقق الفلاح في الدارين الدنيا والآخرة.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا الموضوع كونه يعالج مسألة معاصرة لا يزال يثار حولها الشبهات من أعداء الدين الغربيين ومقلديهم الشرقيين، زاعمين أن الإيمان بالقضاء والقدر – الركن السادس من أركان الإيمان –يؤدي إلى للكسل والخمول والبطالة ويعيق التقدم والسير في ركب الحضارة، وبالعموم فإن أهمية هذا الموضوع تكمن في النقاط التالية:

1. الدعوة إلى إنكار عقيدة القضاء والقدر وربطها بتأخر المسلمين لا يزال تأثيرها مستمر كونها خرجت من كبار أساتذة العقلانيين الجدد، وفي بيان فساد هذه الدعوة خدمة للإسلام والمسلمين.
2. انزلاق أصحاب المدرسة العقلية في هذه الدعوة إلى مزالق عقدية خطيرة خالفوا بها الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ونسفوا عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، مما يوجب بيان حقيقتهم وخطورة دعوتهم المشبوهة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتنقيب والمطالعة لم يُعثر على دراسة مستقلة تناقش مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر وتبين موقف ودور الشيخ مصطفى صبري في الرد عليهم، إلا أنه وجد العديد من الدراسات التي تحدثت في ثناياها عن مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر كان من أبرزها:

1. **الاتجاهات العقلانية الحديثة:** د. ناصر العقل، رسالة ماجستير، تحدث فيها عن آراء المدرسة العقلية الحديثة في عقيدة القضاء والقدر بشكل عام وبين فساد معتقدهم بشكل مقتضب.

2. **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، فهد بن عبد الله الرومي، تحدث فيه عن موقف المدرسة العقلية الحديثة من عقيدة القضاء والقدر ضمن الحديث عن القضايا القرآنية، فبين المؤلف اضطرابهم في فهم عقيدة القضاء والقدر وعد ذلك دليلاً على فساد معتقدهم في القضاء والقدر دون التطرق للرد عليهم.
3. كما أن هناك رسائل علمية تناولت جهود الشيخ مصطفى صبري في العقائد ومنهجه في دراسة العقيدة والرد على المنحرفين إلا أنها لم تتحدث عن جهود الشيخ مصطفى في الرد على مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القدر وانحرافاتهم فمن هذه الدراسات:

1. **مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد** [1]، د. مفرح القوسي، ركزت هذه الرسالة على ترجمة وافية لشخصية الشيخ مصطفى صبري وتراثه العلمي، ثم تعرضت لموقفه من الأفكار الوافدة في مجال الفكر والسياسية وقضايا عصره، وتعرض الباحث لمواقف الشيخ من قضايا إنكار الغيبيات ورده على المدرسة العقلية إلا أنه لم يستوف جميع مباحث العقيدة وردوده عليهم التي سوف نتطرق لها في هذه الدراسة المتخصصة.
2. **منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة**[2]، للباحث: سعود عبد الرحمن اليميني، تحدث فيها عن آراء الشيخ في قضايا التوحيد والنبوة والرد على الماديين الغربيين من ملحدين ونصارى، وقد تطرق إلى آراء العقلانيين وبين أن منهم من ينكر النبوة أو يفسرها تفسيراً يخرجها عن حقائقها الصحيحة، كاعتبار النبوة من باب العبقرية وأنها مكتسبة، كذلك رد عليهم في إنكار المعجزات.
3. **وحدة الوجود عند شيخ الإسلام مصطفى صبري**[3]، للباحث عبد الحليم قفاف، قدم فيه الباحث لمحة موجزة عن حياة الشيخ مصطفى صبري وبين جهوده وآراءه في الرد على الصوفية القائلين بوحدة الوجود.

منهج البحث:

اعتمد الباحثان في هذا البحث المنهج الاستقرائي بتتبع جهود الشيخ مصطفى صبري ثم المنهج الوصفي التحليلي كونهما من أنسب المناهج في مثل هذه الأبحاث، وذلك بالرجوع إلى مؤلفات رجال المدرسة العقلية وآرائهم في مسألة القضاء والقدر، ومؤلفات الشيخ مصطفى صبري وتحليلها ومن ثم بيان جهود الشيخ مصطفى صبري في الرد عليها، وكذلك المنهج المقارن.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي على النحو التالي:

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع، سبب اختيار الموضوع، أهداف الدراسة، منهج البحث، الدراسات السابقة، خطة البحث.

المبحث الأول: تعريف بالمدرسة العقلية الحديثة والشيخ مصطفى صبري.

المطلب الأول: المدرسة العقلية تعريفها ونشأتها وأهم سماتها.

المطلب الثاني: الشيخ مصطفى صبري وأهم وجهوده العلمية في مواجهة المدرسة العقلية الحديثة.

المبحث الثاني: القضاء والقدر بين أهل السنة والمدرسة العقلية الحديثة.

---

[1] الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، د. مفرح بن سليمان القوسي، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، 1989م.

[2] منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة: سعود عبد الرحمن اليميني، رسالة ماجستير من جامعة الملك سعود، كلية التربية قسم الثقافة الإسلامية، 1422هـ.

[3] وحدة الوجود عند شيخ الإسلام مصطفى صبري، للباحث عبد الحليم قفاف، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية جامعة بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، الجزائر، 2005م.

المطلب الأول: الإيمان بالقضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: معتقد المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر.

المطلب الثالث: مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر.

المبحث الثالث: موقف الشيخ مصطفى صبري من معتقد المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر.

المطلب الأول: رد الشيخ مصطفى صبري على معتقد المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر.

المطلب الثاني: الرد على مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر.

الخاتمة والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

تعريف بالمدرسة العقلية الحديثة والشيخ مصطفى صبري.

المطلب الأول: المدرسة العقلية تعريفها ونشأتها وأهم سماتها.

أولاً: تعريف المدرسة العقلية الحديثة[1]:

تتكون المدرسة العقلية الحديثة من ثلاث كلمات هي:

المدرسة: "مكان الدرس والتعليم، والمدرسة: جماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين، تعتنق مذهباً معيناً، أو تقول برأي مشترك. ويقال: هو من مدرسة فلان، أي على رأيه ومذهبه"[2].

العقلية: وصف منسوب للعقل، والعقلانية كمصطلح يُراد بها:" المذهب الفلسفي الذي يرى أن كل موجود مردود إلى مبادئ عقلية، ويراد بها خصوصاً الاعتداد بالعقل ضد الدين بمعنى عدم تقبل المعاني الدينية إلا إذا كانت مطابقة للمبادئ المنطقية"[3].

والتعريف الجامع للعقلانية كما يرى الدكتور ناصر العقل هو:" الاتجاهات التي تقدم العقل على النقل وتجعل العقل مصدراً من مصادر الدين ومحكماً في النصوص"[4].

الحديثة:" نسبة إلى الحديث الذي هو نقيض القديم"[5].

ولقد تعددت تعاريف العلماء للمدرسة العقلية الحديثة كان من أهمها ما يلي:

يُعرِف الدكتور ناصر العقل المدرسة العقلية فيقول:" المدرسة العقلية الحديثة تتمثل باتجاهات كثيرة منها: تلك الاتجاهات العقلانية التي ظهرت في القرنين الأخيرين، التي تتبنى تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين، أو تعطي العقل اعتباراً فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تعالى ورسوله، والتي تقوم على أنقاض المدارس والفرق العقلانية والكلامية القديمة تجدد أصولها وتحيي أمجادها والتي تفسر الإسلام تفسيراً عصرانياً مادياً، دون اعتبار لدلالات اللغة، وأصول الدين..."[6].

---

(1) انظر: منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة: د. سعيد بن صالح الرقيب، ص6.

(2) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأخرون، مادة درس، 280/1.

(3) انظر: المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، 91/2.

(4) الاتجاهات العقلانية الحديثة: ا.د. ناصر العقل، 1422هـ، الرياض، ص17.

(5) لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور، مادة حدث، 131/2.

(6) الاتجاهات العقلانية الحديثة: د. ناصر العقل، ص20.

ويرى الدكتور سلمان العودة أن المدرسة العقلية الحديثة:" اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، ومع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر، وتتفاوت رموز تلك المدرسة تفاوتاً كبيراً في موقفها من النص الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في تأويل النصوص، سواء كانت نصوص العقيدة، أو نصوص الأحكام، أو الأخبار المحضة، وفي رد ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل"[1].

يعرِّف الأستاذ يوسف كمال المدرسة العقلية بقوله:" مذهب جديد بدأ مطلع القرن الماضي، وهو في جوهره إحياء لآراء الخوارج والمعتزلة، تولى كبره رجال أريد لهم الصدارة في المكان والرواج في الفكر، يندر أن تعرف أحدهم دون أن تحس منه بشعور من يظن أنه مجدد، وأنه لم يسبق إلى فكره"[2].

نستطيع القول بأن المدرسة العقلية تتميز عن غيرها بتقديم العقل على النقل، وعلى نصوص الكتاب والسنة. ورجالها يجعلون النص الشرعي تابعاً والعقل متبوعاً، ويدعون إلى الإصلاح، والتجديد والتغيير في الفكر الإسلامي. ويعتمدون على العقل المادي الذي يعتمد على الأمور المحسوسة، وينكرون بعض الأمور الغيبية، ويؤولون المعجزات الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة [3].

ويجب ملاحظة أن هذه المدرسة تحتوي على مجموعات شتى، فمنها المغالي في تحكيم العقل على الدين، ومنها من يحكم العقل جزئياً كبعض الدعاة والمفكرين والمثقفين الإسلاميين، فهي كالمدرسة بالمفهوم التعليمي الشائع التي تحتوي على عدة مستويات لكن يجمعهم إطار واحد.

وتبعاً لما سبق، فقد جاءت مواقف أصحاب تلك المدرسة من القضاء والقدر متباينة ومضطربة كما سيمر بنا.

ثانياً: نشأة المدرسة العقلية الحديثة وأبرز رجالها [4]:

نشأت هذه المدرسة في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري في مصر على يد الأستاذين: جمال الدين الأفغاني[5](ت 1315هـ)، ومحمد عبده[6](ت 1323هـ)[7].

وجاءت نشأة هذه المدرسة إبان ضعف الدولة العثمانيَّة، وفي حالة للأمة يَغمرها الجهل والتخلف، وفي الوقت الذي كان فيه الغرب النصراني يتقدَّم في الماديات بصورة مذهلة.

---

[1] حوار هادئ مع محمد الغزالي: سلمان بن فهد عودة، ص٩.

[2] العصريون –معتزلة اليوم–، يوسف كمال، ص7، بتصرف يسير.

[3] انظر: المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من الحديث الشريف تركيا نموذجاً، نجمية أردول، ص 8، وانظر: التفسير والمفسرون: محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، 402/2.

[4] انظر: مقالة بعنوان: منهج المدرسة العقلية الحديثة وتقويمها في الإصلاح المعاصر أ.د. عبد الله الطريقي، https://www.alukah.net/culture/0/56131/#ixzz5mKObZ7Oe

[5] هو محمد بن صفدر، ولد سنة 1254هـ، قيل في أسعد آباد التابعة لولاية كنر من أفغانستان، وقيل في أسعد آباد في إيران، زار العديد من البلاد الإسلامية، وكتب في الصحف، وألف الكتب، ودعا إلى ما أسماه الجامعة الإسلامية، شخصيته غامضة، اتهم بالرفض وبالانخراط في الماسونية، توفي سنة 1315هـ. انظر: الأعلام: الزركلي، 168/6–169، ودعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، 9–54.

[6] محمد عبده بن حسن خير الله، التركماني، ولد عام 1266هـ في محلة نصر في مصر، تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم الأزهر، وتلقى من شيخه الأفغاني، وأسس معه جريدة العروة الوثقى، توثقت صلته باللورد كرومر المندوب السامي البريطاني، ثم تولى منصب المفتي العام للديار المصرية، عام 1317هـ، وتوفي بالإسكندرية عام 1323هـ، انظر: الأعلام: الزركلي، 252/6.

[7] انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، ص33.

فكان موقف هذه المدرســة محاولة التأقلم ومحاولة التوفيق مع تلك الحضــارة الوافدة مع الإبقاء على الانتماء الإســلامي، فدعت إلى الأخذ بتلك الحضارة، متأوِّلة ما يَتعارَض معها من نصوص شرعيَّة[1].

ومن الجدير بالملاحظة أن الدعوات إلى إنكار القدر قد وفدت إلينا من الغرب النصــراني، لذلك تأثر بها مؤســســو هذه المدرســة في محاولة منهم للتوفيق بين ما دعت إليه الحضــارة الغربية ولو على حســاب الإســلام، فقد تأثر بها الشــيخ محمد عبده وجاءت آراءه مضـــــطربة تحمل في طياتها إنكار القدر، ثم ظهرت آراء تلاميذه، فمنهم من أنكر القدر تقليداً للاتجاه الغربي المنكر له، ومنهم من تبنى آراء المعتزلة، ومنهم من تبنى آراء الجبريين تبعاً لآراء علماء النفس الغربيين.

ولقد تأثَّر بهذه المدرسة كثيرون، وفي مقدمتهم تلامذة الشيخ محمد عبده، مثل: محمد رشيد رضا (ت 1354هـ)، ومحمد مصطفى المراغي (ت 1364هــ)، ومحمد فريد وجدي (ت 1373هــ) وعبد القادر المغربي (ت 1375هــ)، وقاسم أمين (ت 1326هـ)، ومحمود شلتوت(ت 1383هـ)، وأحمد الباقوري (ت 1405هـ)، وعبد المتعال الصعيدي (ت 1377هـ)، ومنهم رجال أحياء لا يُحصَون كثرةً[2].

ثالثاً: أبرز معالم المدرسة العقلية الحديثة[3]:

1. تقديم العقل والهوى على الشرع، وتحكيمه في النص الشرعي وتقديمه في الاعتبار والاستدلال، وتحكيم العواطف والأهواء في أصول العقيدة ونصوصها.
2. الإنكار والتشكيك، والتحريف والتأويل، في أصول العقيدة وأدلتها.
3. رد السنة النبوية كلياً أو جزئياً، فمنهم من يردها مطلقاً، ومنهم من يقبل المتواتر العملي فقط ومنهم من يقبل المتواتر مطلقاً عملياً كان أو قولياً، أما حديث الآحاد فقد يقبلون منه ما يتوافق مع روح القرآن، وما يتفق مع العقل، أو التجربة البشرية، وقد يردها بعضهم مطلقاً، فلا يقبل منها شيئاً.
4. التوسع في تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث بكافة جوانبه، ولو أدى ذلك إلى استحداث أقوال مجانبة لتركيب الآيات القرآنية من الناحية اللغوية، وغير موافقة للمنقول عن السلف رضي الله عنهم.
5. الحرية الواسعة في الاجتهاد مع غض النظر عن الشروط المطلوبة في المجتهد، فوقعوا نتيجة لما يسمونه بـ(الاجتهاد) في آراء شاذة ومنكرة لم يقل بها أحد من قبلهم.
6. الميل إلى تضيق نطاق الغيبيات ما أمكن، وذلك تأثراً بالتيار المادي الذي يسود الحضارة المعاصرة.
7. تناول الأحكام الشرعية العملية تناولاً يستجيب لضغوط الواقع، ومتطلباته، وذلك كقضايا (الوحدة الوطنية) التي تجمع المواطنين أيا كان دينهم، وكذلك قضايا (حرية الفكر)، والتقارب بين الأديان.
8. الإشادة بالحياة الغربية والحكم على الإسلام من خلالها.

وهناك معالم أخرى غير أننا اقتصرنا على هذه المعالم لصلتها بموضوع البحث.

المطلب الثاني: الشيخ مصطفى صبري وأهم جهوده العلمية في مواجهة المدرسة العقلية الحديثة.

أولاً: نسبه ومولده ونشأته.

---

(1) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة: ناصر العقل، ص71، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة وتقويمها في الإصلاح المعاصر، عبد الله الطريقي.

(2) منهج المدرسة العقلية الحديثة وتقويمها في الإصلاح المعاصر أ.د. عبد الله الطريقي.

(3) الاتجاهات العقلانية الحديثة: د. ناصر العقل، ص360-361، ص389، بتصرف، وانظر: موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، سعيد العتيبي، ص51-54.

1. **اسمه ونسبه:**

هو الشيخ مصطفى صبري بن أحمد بن أحمد بن محمد التوقادي القازبادي، ذو نسب عريق من ترك الأناضول[1].

2. **مولده ونشأته:**

ولد الشيخ مصطفى صبري في مدينة توقات التابعة لولاية سيواس في الأناضول في يوم 12 ربيع أول، عام 1286هـ، الموافق 21 يونيو عام 1869م، قال عن نفسه:" ولدت في سُرة الأناضول ببلدة توقات، وأبي وأمي وكذا أبواهما، وأبو أبويهما، وهكذا دواليك كلّهم أناضوليون ذوو نسب عريق في الترك"[2].

وقد نشأ في بيت علم وفضل، فقد كان أبوه متديناً تقياً محباً للعلم والعلماء وكذلك كانت أمه تسابق زوجها فيما يُرضي الله تعالى، وكانت أعظم أمانيهما أن يصبح ابنهما أحد العلماء، فكان له الأثر الكبير في تكوينه وتنشئته النشأة الدينية[3]، في الجانبين السلوكي والعلمي[4].

ثانياً: تعلمه وعقيدته.

1. **رحلته في طلب العلم:**

لقد أمضى الشيخ مصطفى صبري جُل عمره في طلب العلم وتحصيله، فقد أنهى دراسته الابتدائية وحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه على أيدي كبار أهل العلم والفضل فيها[5]، كما أنه كان يحضر مجالس العلم التي كان والده يعقدها في منزله مع كبار فقهاء توقات وعلمائها، ويتدارس معهم المسائل العلمية فكان محط إعجابهم واهتمامهم[6]، ثم استأذن والديه للسفر إلى قيصرية – التي كانت مركزاً مهماً من مراكز العلوم الإسلامية في الدولة العثمانية – ليتلقى العلم على أيدي علمائها، فواصل دراسته الشرعية على يد الشيخ محمد أمين الدَوريكي ودرس على يديه كثيراً من العلوم العقلية والنقلية، مثل علوم التفسير والحديث والعقيدة والفقه وأصول الفقه والسيرة وعلم المناظرة والمنطق وغيرها من العلوم.

ثم انتقل إلى الأستانة وأتم بها دراسة العلوم الإسلامية على يد الشيخ أحمد عاصم الكملجوني وكيل الدرس في المشيخة الإسلامية، والتحق بحلقات دروسه في جامع السلطان محمد الفاتح، والذي كان في ذلك الوقت يؤدي دوراً مهماً في الحركة العلمية والثقافية في الدولة العثمانية، ففاق أقرانه من الطلاب، وشد انتباه مشايخه بقوة حفظه وذكائه، وأُعجِب به شيخه الكملجوني فزوجه ابنته بعد أن أجازه في التدريس[7]، وتتلمذ على يد الفقيه الفاضل الشيخ محمد عاطف بك الإستانبولي، وتلقى من علمه الوفير[8].

---

[1] انظر: موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 71/1، وانظر: مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقاً، د. مفرح القوسي، ص77.

[2] النكير على منكري النعمة: مصطفى صبري، ص98، والشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، د. مفرح القوسي، ص63.

[3] الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، د. مفرح القوسي، ص63-64.

[4] المرجع السابق، ص 136-137.

[5] انظر: مصطفى صبري المفكر الإسلامي: د. مفرح القوسي: ص78.

[6] المرجع السابق، ص 137.

[7] انظر: موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 1/1 الهامش.

[8] انظر: مصطفى صبري المفكر الإسلامي: د. مفرح القوسي، ص179-180.

ولقد نال الشيخ مصطفى صبري شهادة العالمية بعد أن نجح في امتحان المسمى "رؤوس" للأستاذية عام 1890م بدرجة متفوق جداً، وشرع في التدريس بدرجة مدرس في جامع السلطان محمد الفاتح –الذي يعد كجامع الأزهر بمصر– وصارت له حلقة علم وطلاب يدرسون على يديه، وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره[1].

2. عقيدته:

تبنت الدولة العثمانية المذهب الماتريدي في العقيدة واعتمدته في المدارس التابعة لها، لذلك كان من الطبيعي أن ينشأ ويتربى الشيخ مصطفى صبري على ذلك المذهب كسائر العلماء الذين درسوا في البلاد التركية، إلا أن الشيخ رحمه الله لم يكن متعصباً للمذهب الماتريدي، فالشيخ رحمه الله ترك مذهب أبي منصور الماتريدي والتزم بالمذهب الأشعري في مسألة أفعال العباد[2].

فقد صرح الشيخ رحمه الله بتحوله عن مذهب أبي منصور الماتريدي، إلى مذهب الأشعري في كتابه موقف البشر تحت سلطان القدر قائلاً:" هذا وأني لقيت العجب عند تحرير هذا الكتاب فمن مبغض قال إن مصطفى صبري تمذهب بمذهب الجبر وضل بعد الهدى ومن محب قائل بوجوب الميل في مسألة القدر من الأشعرية إلى الاعتزال لحث المسلمين إلى السعي والعمل والتقدم، ولم يرض بمنهج الكتاب ورآه معاكساً للواجب فأراد أن يحول دون آرائي التي ارتأيتها وهو يشك في نضجها"[3].

كما أن الشيخ ذو توجه صوفي، إذ صرح في كتاباته أنه محبٌ للصوفية التي على حق والتي لا تزدري العلوم الشرعية، فيقول رحمه الله:" من حسن حظ التصوف بل من حسن حظي أنا أيضاً لعدم كوني من أعداء الصوفية، أن الصوفية ليس كلهم على مذهب وحدة الوجود، ففيهم من خالف الوجوديين، واعتصم بحبل الشرع المتين ولم يدأب على الطعن على علماء أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم من علماء الظاهر..."[4].

ثالثا: نشاطه العلمي وأهم مؤلفاته في مواجهة المدرسة العقلية الحديثة:

1. نشاطه العلمي:

للشيخ مصطفى صبري جهود علمية ضخمة، فقد كان مأوى العلماء في تركيا ومصر حاملاً لواء الإسلام في وجه تيار التغريب العقلاني، والشيخ رحمه الله تقلد العديد من المناصب العلمية كان آخرها توليه منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ولما هاجر إلى مصر لم يألُ جهداً في مواجهة التيار العقلاني الذي اكتوى بناره في تركيا، فكان بيته مزاراً لكثير من الأساتذة والعلماء والمفكرين وطلاب الأزهر يقضي معهم وقتاً طويلاً يتباحث معهم كثير من المسائل العلمية، وسخَّر كل وقته وجهده في القراءة وكتابة المقالات والكتب ولم يألُ جهداً في نشرها ليستفيد من علمه الناس ويدرأ الشبهات عن الإسلام.

وبالعموم فقد كانت للشيخ مصطفى صبري أنشطة متعددة في كثير من المجالات العلمية نبينها بشكل مختصر في التالي:

1. **نشاطه العلمي في مجال التدريس**، درَّس الشيخ في العديد من المساجد والمدارس والجامعات، منها جامع السلطان محمد الفاتح الذي كان يوازِي الأزهر في ذلك الزمان، وجامع الآثارية، ومدرسة الواعظين، وكذلك عمل مدرساً للتفسير بكلية

(1) انظر: المرجع السابق ص 82-83.

(2) انظر: المنهج النقدي عند شيخ الإسلام مصطفى صبري، جمال مرشد، ص17,

(3) موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص24.

(4) موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 264/3، 92/3.

الإلاهيات في جامعة الآستانة(1)، ومدرساً لصحيح البخاري في مدرسة المتخصصين(2)، ومدرساً للحديث في المدرسة السليمانية، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء(3).

2. **الانضمام لدرس الحضور:** اختير الشيخ مصطفى صبري ليكون عضواً من الأعضاء المخاطبين في دروس الحضور، وهي الدروس التي كان يحضرها السلطان وتُلقى في حضرته(4).
3. **رئاسته للجمعية العلمية وعضويته في دار الحكمة الإسلامية،** فقد اجتمع علماء الأستانة في عام 1908هـ، لتأسيس جمعية علمية باسم الجمعية العلمية الإسلامية، واختيار رئيساً لها، فوقع الإجماع على اختيار الشيخ رحمه الله رئيساً لها كما أنه كان عضواً في مؤسسة دار الحكمة أكبر هيئة ومجمع علمي في الدولة العثمانية وهي تتبع للمشيخة الإسلامية(5).
4. **توليه منصب شيخ الإسلام:** تولى الشيخ مصطفى صبري أعلى المناصب العلمية والدينية في الخلافة العثمانية ألا وهو منصب شيخ الإسلام وفي ذلك دلالة على عظم مكانة الشيخ العلمية، ومنصب شيخ الإسلام يلي في الأهمية منصب الصدر الأعظم حسب لوائح الدولة العثمانية آنذاك(6).
5. **أهم مؤلفاته في مواجهة المدرسة العقلية الحديثة:**

جل مؤلفات الشيخ مصطفى صبري في الغالب كانت موجهة للرد على آراء العقلانيين التي زاغوا بها عن الحق وأدت إلى انحرافات كبيرة في المجتمعات الإسلامية، فللشيخ ستة كتب مطبوعة باللغة العربية بهذا الخصوص وهي:

1. **كتاب "النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة".**

ألف الشيخ مصطفى صبري هذا الكتاب قُبيل إلغاء الخلافة العثمانية، في أول رجب عام 1924م، وقد تناول الكتاب التحذير من خطر الكماليين على العالم الإسلامي وعلى المصريين المنخدعين بهم، ويعد الكتاب ثورة نكير على الكُتَّاب العقلانيين المصريين المؤيدين للكماليين، فقد رد الشيخ شبهاتهم ومغالطاتهم، ولم يغْفل الشيخ تصحيح الأخطاء التي وقع فيها الشيخ رشيد رضا الذي دعا الكماليين لإعادة إحياء منصب الخلافة(7).

2. **كتاب "قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب".**

وهو عبارة عن عدة مقالات نشرت في مجلة الفتح سنة 1934م، وقد لاقت ثناء الكثير من علماء الدين، فرأى الشيخ مصطفى صبري وصديقه صاحب مجلة الفتح الأستاذ محب الدين الخطيب نشر هذه المقالات ضمن كتاب مستقل، لتعم بها الفائدة، ولمواجهة تيار المدرسة العقلية الداعي إلى سفور المرأة واختلاطها ومساواتها بالرجل وإلغاء الأحكام الخاصة بها.

3. **كتاب "مسألة في ترجمة القرآن":**

---

(1) انظر: الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، د. مفرح القوسي، ص67–68.

(2) انظر: مجلة الهداية الإسلامية، الجزء الثامن المجلد الرابع عدد محرم، 1351هـ، ص334.

(3) انظر: الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مفرح القوسي، ص 69.

(4) المرجع السابق، نفسه.

(5) انظر: مجلة الهداية الإسلامية، الجزء الثامن المجلد الرابع عدد محرم، 1351هـ، ص334، والشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مفرح القوسي، ص71–72.

(6) الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مفرح القوسي، ص73.

(7) انظر: الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، د. مصطفى حلمي، ص5–6، والشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مفرح القوسي، ص226.

أَلَّف الشيخ هذا الكتاب سنة 1932م بسبب فتنة أثارها الكماليون ترمي إلى هجر القرآن وفصل الأتراك عن اللغة العربية، وذلك بترجمته إلى اللغة التركية وإقامة المترجم مقام الأصل في الصلاة وفي غيرها من العبادات والمعاملات لإبعاد الناس عن الإسلام، فقام أصحاب المدرسة العقلية كالأستاذ فريد وجدي والشيخ محمد مصطفى المراغي بتأييد هذه الفتنة والدفاع عنها وترويجها وإغراء الشعوب الإسلامية للأخذ بها وإعطائها الصفة الشرعية من خلال شبهات وأقوال ضعيفة حُمِلَت على غير معناها[1]، فقام الشيخ رحمه الله بالرد عليهم وناقش شبهاتهم التي استندوا إليها وبين بطلانها.

4. كتاب "موقف البشر تحت سلطان القدر":

نشر الشيخ مصطفى صبري هذا الكتاب سنة 1933م، للرد على رواد المدرسة العقلية الحديثة الذين أنكروا مسألة القضاء والقدر وشككوا بها مدعين أن الإيمان بها سِرّ تأخر المسلمين، فاطلع الشيخ على عدة مؤلفات لهم تقدح في عقيدة الإيمان بالقدر كما أن الشيخ رأى أن سوء الظن بعقيدة القضاء والقدر إنما أتانا من الغرب لذا قرّرَ تأليف هذا الكتاب للدفاع عن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ضد اعتداءات العقلانيين المتأثرين بالوافد الغربي[2].

5. كتاب "القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون":

ألف الشيخ مصطفى صبري هذا الكتاب سنة 1942م وتسمية هذا الكتاب كان باقتراح من الشيخ حسن البنا الذي تولى بنفسه الإشراف على طباعته وتغطية نفقة طباعة مئتي نسخة منه[3]، فقد كانت الحاجة ملحة لتأليف هذا الكتاب بسبب هجوم رواد المدرسة العقلية الحديثة على الإيمان بالغيب والعقائد الغيبية وعدم قدرة علماء الأزهر الرد عليهم وخاصة أنهم يمثلون رأس الهرم في الأزهر فقام الشيخ مصطفى صبري بالرد عليهم.

6. كتاب "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين":

أَلَّف الشيخ مصطفى صبري هذا الكتاب الضخم الذي كرّس فيه أخر حياته، وضمنه مباحث كثيرة ومهمة تعمق في دراستها وتحليلها وبيان وجه الحق الذي يراه فيها،...ويعد هذا الكتاب موسوعة علمية في علم أصول الدين أورد فيه الشيخ خلاصة آرائه الفقهية والفلسفية والسياسية والاجتماعية، فهو في الحقيقة عدة كتب مجموعة في كتاب واحد"[4]، تعرض فيه لأبرز القضايا العقدية والاجتماعية التي تفجرت في عصره وأثيرت حولها الشبهات والشكوك، فأثرت في نفوس العقلانيين وأدت بهم إلى استبطان الإلحاد، فكشف عنه، وبين زيف دعوى المجددين منكري الغيب، وضمن كتابه العديد من المسائل التي تعصم المسلم من الزيغ والضلال[5].

المبحث الثاني:

مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر.

المطلب الأول: الإيمان بالقضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة.

أولاً: القضاء والقدر في اللغة والاصطلاح:

1. القضاء والقدر في اللغة:

1. القضاء في اللغة:

---

(1) الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، د. مفرح القوسي، ص232.

(2) انظر: المرجع السابق، ص 236-237.

(3) المرجع السابق، ص 670.

(4) المرجع السابق، ص251- 252.

(5) انظر: موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 2/1.

القضاء أصله: من قضى، و" القاف والضّاد والحرف المعتل أصل صحيح يدلُ على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته"[1]، وقضى في اللغة يأتي بمعاني عدة كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه، فهو يأتي بمعنى التقدير والأمر والإعلام، والحتم والحكم، والفراغ، والقبض...إلخ[2]، وقد أتى معنى القضاء في القرآن الكريم بعدة معاني منها[3]:

1. الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23].
2. الإنهاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: 66]، أي: تقدمنا إليه وأنهينا.
3. الحكم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: 72].
4. الفراغ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [فصلت: 12].
5. الإعلام والإخبار والكتابة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: 4].

مما سبق يتبين أن القضاء في اللغة هو إحكام الشيء وإتمام الأمر[4].

6. القدر في اللغة:

القدر في اللغة من قَدَرَ يقدر قدراً، " فالقاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته"[5]. يقال قدَّر الإله كذا تقديراً وإذا وافق الشيءُ الشيءَ قلت: جاءه قدره، والقدر القضاء والحكم وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور قال تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1] أي الحكم[6].

وقد يطلق القدر على معان غير الحكم، والقضاء، منها: الإتمام، الطاقة، والتضيق، والتقدير[7]، وهذه المعاني قد وردت في الكثير من آيات القرآن الكريم منها[8]:

1. القضاء والتقدير، قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3].
2. الحكم، قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [النمل: 57].
3. العلم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [المزمل: 20].
4. التضييق والتقتير، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: 87].

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في موضع واحد فالمراد بالقدر التقدير وبالقضاء الخلق فهما أمران متلازمان، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقده[9].

والقضاء والقدر: هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة، والسنن التي ربط بها الأسباب، بمسبباتها[10].

---

[1] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 99/5.

(2) انظر: كتاب العين، الفراهيدي ، 185/5، وتهذيب اللغة، محمد بن أحمد الهروي، 170/9-173، ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٩٩/5.

(3) انظر: منهج الإمام جمال الدين السرمري في تقرير العقيدة، خالد بن منصور المطلق، ص215.

(4) انظر: منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، أحمد بن علي الزاملي عسيري ، ص505.

[5] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 62/5.

[6] انظر: لسان العرب، ابن منظور، 74/5

[7] انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الهروي 37/9-39، الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، 248، لسان العرب، ابن منظور 5/ 74.

[8] انظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، 276/3-281.

[9] انظر: لسان العرب ابن منظور، 186/15.

[10] العقائد الإسلامية: سيد سابق، ص95.

5. القضاء والقدر في اصطلاح أهل السنة:

القضاء والقدر في معتقد أهل السنة والجماعة هو أن يعتقد العبد أن الله تعالى قد قدر الأشياء منذ الأزل وقضاها فهي عنده في اللوح المحفوظ وقدر وقضى وقوعها في زمنها المحدد بعلمه ومشيئته وقدرته وأمره[1].

ويُمكن أن يعرف القضاء والقدر بأنه:" هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تقع في الأزل، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها"[2].

وعرفه الشيخ ابن عثيمين أنه:" تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمُه، واقتضته حكمته"[3].

نستنتج مما سبق أن للقدر أربع مراتب، هي[4]:

الأولى: علمه سبحانه وتعالى السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم.

الثانية: كتابته جل وعلا ذلك في الذكر عنده قبل خلق السماوات والأرض.

الثالثة: مشيئته المتناوِلة لكل موجود، فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه.

الرابعة: خلقه له وإيجاده وتكوينه فإنه لا خالق إلا الله والله خالق كل شيء.

والإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة التي بينها الرسول ﷺ، كما ورد في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان فقال:" أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[5].

وللإيمان بالقضاء والقدر أهمية ومنزلة كبيرة بين بقية أركان الإيمان لعدة أمور هي[6]:

1. "ارتباطه مباشرة بالإيمان بالله تعالى وبصفاته، لأن الإقرار بتوحيد الله وربوبيته لا يتم إلا بالإيمان بصفاته تعالى ومراتب القدر الأربعة السابقة هي صفات الله تعالى كالعلم، والإرادة، والقدرة، والخلق، ومعلوم أن القدر إنما يقوم على هذه الأسس، وعلى هذا الأساس قامت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، فكان الإيمان بهما متمماً للإيمان بالله تعالى، وبصفاته"[7].
2. والإيمان بالقدر هو المحك الحقيقي لمدى الإيمان بالله تعالى على الوجه الصحيح، فكثير من أعداء الإسلام في كل زمن يثيرون البلبلة في عقيدة المسلمين عن طريق الكلام في القدر، ودس الشبهات حوله، ومن ثم أصبح لا يثبت على الإيمان الصحيح واليقين القاطع إلا من عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، مسلِماً الأمر لله، مطمئن النفس، واثقاً بربه تعالى، فلا تجَد الشكوُك والشبهات إلى نفسه سبيلاً[8].

---

(1) انظر: لوامع الأنوار البهية، البغوي، 1/ 358-359، شرح الرسالة التدمرية، محمد الخميس، ضوابط لفهم عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في ضوء القرآن والسنة، محمد إدريس خلف الله، ص728.

(2) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، 348/1.

(3) رسائل في العقيدة، ابن عثيمين، ص37.

(4) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، 950/3-951، وانظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزية، ص29، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص248، وشرح أصول العقيدة الإسلامية، د. نسيم ياسين، ص229-231.

(5) صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب سؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان..، حديث رقم، 50، 19/1.

(6) انظر: منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، ص509.

(7) مع الله في صفاته وأسمائه الحسنى: حسن أيوب، ص116.

(8) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذهب الناس فيه، د. عبدالرحمن المحمود، ص83-85.

3. القضاء والقدر هو من علم الغيب، فمن لم يؤمن بالغيب أو يشكك فيه فلن يؤمن تبعاً بالقضاء والقدر، لذا نجد الإسلام يطلب من المسلم التسليم بقضاء الله وقدره والرضا بحكمه، وكلما زاد إيمان المرء زاد إيمانه بالقدر[1].

وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى"[2]، وأنه كل شيء بقضاء الله وقدره وأنه سبحانه خالق أفعال العباد وأنه يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ولا يرضاه ولا يحبه فيشاؤه كوناً ولا يرضاه ديناً[3].

وأهل السنة والجماعة وسط " بين المكذبين بقدرة الله، الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء، وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل، فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:148]"[4].

" هذا ولقد نبغ في عهد التابعين وأواخر عهد الصحابة القدرية مجوسُ هذه الأمة، الذين يقولون: لا قدر، وأن الأمر أنف، فكان أول من قال بنفي القدر رجل من أهل البصرة يقال له: سوسن، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد ولما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رد عليهم من بقي من الصحابة والتابعين وكفروهم ثم انقرض مذهبهم، وخلف من بعدهم قوم أقروا بعلم الله السابق، وأنكروا عموم مشيئة الله وخلقه، وهؤلاء هم المعتزلة، ومن سلك سبيلهم. كما نبغت طائفة أخرى من القدرية فنفت فعل العبد وقدرته واختياره، وهؤلاء هم الجبرية، أتباع الجهم بن صفوان الذي ظهر بترمذ في أوائل المائة الثانية للهجرة تقريباً، وكان قد استقى تعاليمه من أستاذه الجعد بن درهم، وخلف من بعدهم قوم أقروا بقدرة العبد ومشيئته، لكنهم نفوا تأثيرها على الفعل، فأتوا بما لا يعقل"[5].

ثم نبغت نابغة جديدة من رواد المدرسة العقلية الحديثة، فسلكوا طريق نفاة القدر الأوائل، وأحيوا آرائهم بعد اندراسها فنفوا القدر، وأنكروا على المسلمين إيمانهم بالقدر، ومنهم من سلك طريق المعتزلة في القدر، ولايزال يطل علينا منهم من يتكلم في القدر بمحض عقله وهواه دون الرجوع للكتاب والسنة وفهم السلف؛ فوقع في مخالفات شنيعة أنكر فيها قدرة الله تعالى، واتهم المؤمنين بالقدر بالتخلف والكسل والرجعية وهذه فرية لم يسبقهم إليها أحد غير أعداء الإسلام، وفي المطلب التالي نبين هذه المزاعم.

المطلب الثاني: معتقد المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر.

ظهرت آراء رواد المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر في أثناء الهجوم الغربي على الإسلام وعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر[6]، وترويجهم أنها سبب تخلف المسلمين وانحطاطهم عن ركب الحضارة، وأنها عقيدة تدعو أصحابها إلى التواكل والخمول والكسل وعدم السعي للعمل اعتماداً على أن الله قدر عليهم كل شيء وأنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم فهم نتيجة لهذا المعتقد مستسلمون[7]، كذلك زعمهم أن الآيات التي تتحدث عن هذه العقيدة بينها تنافر وتناقض، وهي سبب وجود المذاهب المتعارضة في

---

[1] الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر العقل، ص329.

[2] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي، 155/1.

[3] شرح العقيدة الطحاوية، على الحنفي، ص277.

[4] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، 347/3.

[5] موقف الرازي من القضاء والقدر في التفسير الكبير، أنفال يحي إمام، ص45-46.

(6) انظر: افتراءات المستشرقين على العقيدة ، عبد المنعم فؤاد، مجلة الأزهر، جمادي الأولى 1440هـ-يناير، 2019م، ص850-851.

(7) المرجع السابق، ص851 والاستشراق تاريخه وأهدافه، أحمد شلبي، ص56، ص 113.

الإسلام في مسألة حرية الإرادة والقدرة(1)، وقد ساعد هذا في إيجاد صدىً كبيراً لما يروجون من تقدم الغرب في الصنائع وعلوم المادة وتخلف المسلمين فيها، وتبعاً لتلك المزاعم جاءت آراء رواد المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر مضطربة على عدة اتجاهات كان من أهمها ثلاثة اتجاهات هي:

الاتجاه الأول: إنكار القضاء والقدر وتبني آراء المستشرقين.

يمثل هذا الاتجاه التيار الليبرالي العربي ممن وقع تحت تأثير الشيخ محمد عبده من جهة، وتأثير الفكر الغربي من جهة أخرى، وهيمنة الإنجليز على شؤون مصر الفكرية والثقافية من جهة ثالثة، وهذا الاتجاه تبنى آراء المستشرقين وهاجم الإسلام والعقائد الغيبية التي منها عقيدة القضاء والقدر، ودعا إلى تغريب وعلمنة المجتمعات الإسلامية والتحرر من كل القيود الدينية، إذ رأى أن فكرة حرية الإنسان وإرادته الحرة تقف بقوة وراء التقدم الغربي، وقد مثل هذا الاتجاه إسماعيل مظهر، وحسين محمود، ونصيف المنقبادي، وحسين أحمد أمين، وأحمد بدوي النقاش، وصادق جلال العظم، وغيرهم من دعاة التغريب (2).

وهذا الاتجاه منهم الملاحدة المنكرون لوجود الله ومنهم المقرون بوجوده غير أنهم ينكرون القضاء والقدر، ففي سؤال وجه لعباس محمود العقاد عن رأيه في مسألة القضاء والقدر قال:" إن مسألة القضاء والقدر عقدة، ولكنها عقدة لا ينكرها المنكر إلى وقع فيما هو أعقد منها، ولا سيما المنكر الذي يؤمن بوجود الخالق القديم، أما الذين يبطلون وجوده فإنهم يعطلون العقل جملة في هذه المسألة وفي غيرها من المسائل، لأن تفسير العالم كله بالمصادفة العمياء لا يدع مجالاً للإشكال ولا للسؤال، وكل شيء جائز أو غير جائز، فقد استوى الجائز وغير الجائز على كل حال"(3)، وعلى كل حال أسقط المنكرون للقدر من حساباتهم مسألة القضاء والقدر إلا أن يذكروها في معرض الذم والتشويه وإثارة الشبهات حولها.

فيقول إسماعيل مظهر مبيناً عقلية الشرق: "لا نكران مطلقاً في أن العقلية التي نشأت في الشرق هي العقلية التي لا تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا. بل أنت إذا قلبت أوجه النظر في هذه العقلية ألفيتها تلائم من كل نواحيها الحياة الأخرى، نكران لكل مطاليب الحياة، وتواكل على القضاء والقدر، واستسلام صرف لما سوف يأتي به الغد، وإغفال محض لمواعظ الماضي وعظاته، هي عقلية توافق المزاج الإنساني في غرارته الأولى وبساطته وأساطيره، عندما أخذ فجر العقل يتنفس من خلال الظلمات الأولى. ولقد عيب على الشرق أن يكون هذا حال عقلية أهله! وفي الحق أن الشرق يجب أن يعاب عليه تواكله واستسلامه للمقادير وخضوعه لأمرائه من ناحية، ورجال الدين والفقهاء من ناحية أخرى"(4).

وقد رفض إسماعيل مظهر هذه العقلية التي أحيطت بزعمه بالقيود والأصفاد التي لم تترك للأمم الأسيوية من فرصة للخلاص، فعد من هذه القيود عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر قائلاً: "ولقد كانت هذه العقلية بمثابة تجربة حاول واضعوها أن يعرفوا إن كانت بذاتها وسيلة ناجعة للقضاء على الحياة وعلى الإنسانية ولا مرية في أنها قطعت كل علاقة كائنة بين الناس والحياة الدنيا"(5).

ويجاهر صاحب مقالة "عدة النجاح لرجل القرن العشرين" بنبذه للغيب وعقيدة القدر فينال الجائزة الأولى، قائلاً: "وصفوة القول أن الرجل العصري، يجب أن ينبذ العقلية الغيبية، ويطاردها في كل مكان حتى تستوي له عقلية علمية من هذا الطراز الذي نشاهده في معامل العلماء، يتصل بالعقلية الغيبية هذا الاعتقاد الشرقي بأن العالم مسير لا قدرة لنا فيه، وأن القوة المسيرة تتدخل في تتابع أحداثه، فتقدم وتؤخر وتحيي وتميت بغير حساب؛ ويجوز أن تعدل عما سبق أن كتبت من آجال، وقد تسرب هذا الاعتقاد إلى

(1) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر، ص93، 97.

(2) فلسفة المشروع الحضاري، أحمد محمد عبد الرازق، 608/2، 612/2، 631/2،

(3) مسألة القضاء والقدر، عباس محمود العقاد، الرسالة، العدد713، 3-مارس- 1947م.

(4) وثبة الشرق، إسماعيل مظهر، ص 8-9.

(5) فلسفة الانقلاب التركي الحديث، إسماعيل مظهر، مجلة العصور، العدد 2، 1-أكتوبر-1927م، ص 118، ووثبة الشرق، له، ص29.

فلسفاتهم دينية كانت، أو عقلية... وكأني بأولئك المتكلمين ومن لف لفهم، يتصورون هذا النظام على أنه ليس من طبيعة الأشياء نفسها ولكنه فُرض فرضاً عليها من خارجها، يمكن تعديله أو العدول عنه في كل لحظة؛ لهذا استسلم أهل الشرق إلى ما أسموه تارة بـ "القدر"، و تارة بـ "القسمة"، أو "النصيب"[1].

وقد اطلع الشيخ مصطفى صبري بعد مجيئه إلى مصر على رسالة ذات ثلاثة أجزاء بعنوان علم القضاء والقدر أو سر تأخر المسلمين للكاتب أحمد بدوي النقاش، ادعى كاتبها أنه وضع علماً جديداً فنسب جميع أهل المذاهب في مسألة أفعال العباد وجميع المتكلمين القائلين بالقدر من خلفهم وسلفهم إلى الضلال بل الكفر مستشهداً على صحة دعواه بقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه باثولوجيا الإسلام[2]:" إن الديانة المحمدية جزام فشا بين الناس وأخذ يفتك فيهم فتكاً ذريعاً بل هي مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل"[3].

وقد ادعى الكاتب أحمد بدوي النقاش مؤلف كتاب علم القضاء والقدر أنه ليس هناك قدر يتقدم في علم الله على أفعال الإنسان، وإنما الأقدار الإلهية للإنسان نتيجة لجهوده الاختيارية –والله تعالى عما يقول– لا يعلم من عبده في الأزل إلا كونه مختاراً في أفعاله، ولا يعلم قبل أن خلقه وفعل هو ما فعله من خير أو شر أو نفع أو ضر[4]، ويزعم أن ذلك لا يعد جهلاً من الله تعالى، مدعياً أن له تعالى في الأزل علمين متضادين عن كل ما يحتمل أن يفعله الإنسان وأن لا يفعله فإن فعله ظهر علمه المتعلق بوقوعه وغاب علمه المتعلق بعدم وقوعه مدعياً أن القول بعلمين لله أفضل من القول بعلم واحد[5].

ويقول عن علم الله تعالى "ومنها تعلم أنه كَتَب له في أم الكتاب خطين متضادين من العلم: علم لإيمانه، وعلم لكفره وموته على الكفر بحوادثه المنوعة، وأراد سبحانه أن يكون مخيراً بين وقوع أحدهما لنفسه ولحريته، فإن اختار الموت على الكفر فقد محا الله ما يجانبه مما كان مكتوباً له من الموت على الإيمان أيضاً باختياره ولذا كان علمه تعالى باختيار الإنسان بعد وقوع الاختيار نفسه لا قبل الاختيار ؛ لأنه لو كان قبله ما كان اختياراً مطلقاً؛ ولذا قضى الله بحق وقدر أن يكون رقيباً على كل إنسان مراقبة شديدة لهذا العلم بما يختار وليكتب ما له وما عليه "[6].

ويعتبر حسين أحمد أمين أن عقيدة القضاء والقدر نزعة في الإنسان تعود جذورها إلى حياة البداوة المعرضة للتبدل والتغير في كل وقت، والمفتوحة على كل الاحتمالات، وأنها انتقلت إلى الحضري نتيجة التسلط والاستبداد الذي مارسه الحكام لفترة طويلة من الزمن[7].

ويضرب صادق جلال العظم مثال لما يزعمه تناقض في القضاء والقدر قائلاً: "وأفضل مثال على هذا الموقف المشكلة الكلاسيكية التالية: يفترض في المؤمن أن يسلم بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى، وأن يؤمن بالعقاب والثواب، وأن يؤمن أيضاً

[1] عدة النجاح لرجل القرن العشرين، جريدة الأهرام، العدد 1858، وموقف العقل والعلم والعالم، ، مصطفى صبري، 188/1.

[2] انظر: لمزيد من أقوال المستشرقين ضد الإسلام وعقائده، انظر: وَا مُحَمَّدَاهُ {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}، سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، 64/3.

[3] علم القضاء والقدر أو سر تأخر الأمم الإسلامية، أحمد بدوي النقاش، ص44، مطبعة السعادة، 1929م، وموقف البشر تحت سلطان القدر: مصطفى صبري، ص13.

[4] يذكر الشيخ مصطفى صبري أن كلام المؤلف المذكور يشبه ما ذكره مؤلف مبادئ علم الفلسفة الفرنسي عن علم الله قائلاً:" وكم تأسفت لما وجدت شبهاً بين كلام هذا العالم الفرنسي المؤلف في مبادئ الفلسفة وبين كلام الجاهل المصري... القائل بأن الله تعالى لا يعلم أفعال عباده قبل أن يخلقهم ويفعلوا ما يفعلوا" موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص250.

[5] انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص14.

[6] علم القضاء والقدر، أو سر تأخر الأمم الإسلامية، أحمد بدوي النقاش 43/2، وموقف البشر تحت سلطان القدر، ص 13

(7) دليل المسلم الحزين، حسين أحمد أمين، ص135-136.

بالعدالة الإلهية، رغم ما في هذه الموضوعات من تناقضات عقلية وأخلاقية. ويبرر أصحاب هذا الرأي موقفهم بقولهم: إن العقل الإنساني عاجز تماماً عن إدراك طبيعة العدالة الإلهية، وعلاقتها بالحساب والقضاء والقدر، وبما أن هذه المواضيع لا تخضع للمنطق البشري، لذلك تبدو متناقضة ومغايرة لمعاييرنا الأخلاقية وغير منصفة"[1].

وقد بنى هذا الاتجاه موقفهم المنكر لعقيدة القضاء والقدر بناءً على إيمانهم بالفلسفة الوضعية وبنظرية أوجست كونت التي قسم فيها الأطوار التي يمر بها العقل البشري إلى ثلاثة أطوار : الطور اللاهوتي، والطور الميتافيزيقي، والطور العلمي أو الوضعي، وقرر –كونت– أن العقائد ستختفي بسبب عدم صلاحيتها، وأن العقائد الميتافيزيقية ستنهار لأنها لا يمكن لها أن تستمر بسبب تقدم المعرفة الوضعية[2]، لذا هذا الاتجاه لا يناقشون في إثبات عقيدة القضاء والقدر، قبل أن يناقشوا في إثبات وجود الله تعالى وإبطال النظريات التي بنوا عليها إلحادهم، وهو ما قام به الشيخ في كتابه موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، فأزال جذور الشك في الله تعالى ثم بيَّن تهافت آرائهم في إنكار القدر.

الاتجاه الثاني: الإنكار الجزئي للقدر وتبني آراء المعتزلة والزعم أن الإنسان هو خالق أفعاله.

مال أكثر رواد المدرسة العقلية الحديثة إلى الأخذ بآراء المعتزلة في القضاء والقدر، وقالوا أن الإنسان هو الذي يقدر أعمال نفسه ويتوجه إليها بإرادته ثم يوجهها بقدرته، إي أن له قدرة مستقلة عن إرادة الله وقدرته، وأفعال الإنسان لا فاعل لها ولا محدث سواه، وقد تزعم هذا الرأي الشيخ محمد عبده[3] والشيخ محمد المراغي[4] والشيخ محمود شلتوت[5] كما أنه قد تأثر به بعض علماء الأزهر كالشيخ محمد بخيت، ومن المعاصرين الدكتور محمد عمارة[6].

وأغلب الاتجاه العقلاني يميل إلى هذا الرأي لسببين [7]:

الأول: كون تلك الأفكار متفقة مع الأفكار العصرية، المبنية على تقليد الغرب في تفنيد العقيدة الإسلامية واتهامها بالجبر.

الثاني: كونُ الإنسان مكلف بالأحكام الشرعية، ومسؤوليته عن أعماله عند الله مفهومةٌ في مذهب المعتزلة بكل وضوح.

لذلك تبنى الشيخ محمد عبده مذهب المعتزلة –غير أنه لم يصرح بذلك– ودافع عنه تحت ستار التعبير عن الخلق والإيجاد بالكسب قائلاً: "ودعوى أن الاعتقاد بكسب العبد لأفعاله يؤدي إلى الإشراك بالله وهو الظلم العظيم دعوى من لم يلتفت إلى معنى الإشراك على ما جاء به الكتاب والسنة، فالإشراك اعتقاد أن لغير الله أثراً فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة وأن لشيء من الأشياء سلطاناً على ما خرج عن قدرة المخلوقين، وهو اعتقاد من يعظم سوى الله مستعيناً به فيما لا يقدر العبد عليه كالاستنصار في الحرب بغير قوة الجيوش، والاستشفاء من الأمراض بغير الأدوية التي هدانا الله إليها، والاستعانة على السعادة الدنيوية والأخروية بغير الطرق والسنن التي شرعها الله لنا، هذا هو الشرك الذي كان عليه الوثنيون ومن ماثلهم فجاءت الشريعة الإسلامية بمحوه ورد الأمر فيما فوق القدرة البشرية والأسباب الكونية إلى الله وحده، وتقرير أمرين عظيمين هما ركنا السعادة وقوام الأعمال البشرية، الأول: أن العبد يكسب بإرادته وقدرته ما هو وسيلة لسعادته، والثاني: أن قدرة الله هي مرجع لجميع الكائنات وأن منها ما يحول بين العبد وبين إنفاذ ما يريد، وأن لا شيء سوى الله يمكن له أن يمد العبد بمعونته فيما لم يبلغه كسبه جاءت الشريعة لتقرير ذلك وتحريم أن

(1) صراع مع الملاحدة، عبد الرحمن حنبكة، ص305.

(2) انظر: الإيمان بالغيب، بسام علي العموش، 1/77–78، وموقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 2/109.

(3) انظر: رسالة التوحيد، محمد عبده، ص32–33.

(4) انظر: تفسير سورة الحديد، محمد مصطفى المراغي، مجلة الأزهر، المجلد الثاني عشر، العدد 5، ص265.

(5) انظر: الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ص50.

(6) انظر: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، د. محمد عمارة، ص 33.

(7) موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 3/ 31.

يستعين العبد بأحد غير خالقه وتوفيقه إلى تمام عمله بعد إحكام البصيرة فيه وتكليفه بما يرفع همته إلى استمداد العون منه وحده بعد أن يكون قد أفرغ ما عنده في تصحيح الفكر وإجادة العمل، وهذا الذي قررنا قد اهتدى إليه سلف الأمة فقاموا من الأعمال بما عجبت له الأمم"[1].

كلام الشيخ محمد عبده السابق يحمل في طياته العديد من الدلالات التي انتصر فيها لمذهب المعتزلة ولم يصرح بذلك لعلمه عوار مذهبهم، فهو عبر عن قول المعتزلة بخلق العباد أفعالهم بالكسب وعدم تصريحه بأن الله خالقها، وهو نفس مذهبهم في التفويض الذي ذكره الشيخ في تحديد قدرة العباد واحتياجهم إلى الله لأن يمدهم بالمعونة فيما لم تبلغه قدرتهم وأن قدرة الله هي مرجع الكائنات، فهل يتصور الشيخ أن المعتزلة أنكروا القدر على إطلاقه وادعاء أن الإنسان يقدر على كل شيء ولا توجد فوق قدرته قدرة؟، كذلك من المعلوم أن مذهب المعتزلة نسب إليه تهمة الإشراك بالله والذي اجتهد الشيخ محمد عبده بنفيه[2].

وممن مال إلى رأي المعتزلة ومذهب الاختيار الشيخ محمود شلتوت، فيقول شارحاً مذهبه في القدر:" والقدر بالنسبة للإنسان معناه أنه خلقه بإرادة وحرية واختيار فيما كلفه به من أعمال الخير والبعد عن الشر وكل نصوص القرآن تدل على ذلك دلالة واضحة واختيار الإنسان أساس لتكليفه ومحاسبته ومحال أن يكون مجبوراً على فعله ثم يكلف ويثاب أو يعاقب على ما لا يستطيع صرف نفسه عنه، وعلم الله بما سيكون من الإنسان باختياره وإرادته يحقق معنى الاختيار وينفي القهر والجبر وصفة العلم صفة كشف وليست صفة تأثير"[3]، ويرى أن آيات القدر في القرآن الكريم المرتبطة بفعل الإنسان ومسلكه في الحياة ليسا سوى النظام العام الذي خلق الله عليه الكون، وربط فيه بين الأسباب والمسببات والنتائج والمقدمات سنة كونية دائمة لا تتخلف وكان من بين تلك السنة أن خلق الإنسان حراً في فعله مختاراً غير مقهور ولا مجبور"[4].

ويعد الشيخ محمد المراغي من أشد العقلانيين تمسكاً بمذهب المعتزلة فيقول متحدثاً عن علم الله وارتباطه بأفعال العباد:" إن علم الله سبحانه يجب أن تتبعه إرادته، والعلم صفة انكشافيه لا إلزام فيها، والعلم الصحيح وهو المطابق للمعلوم مطابقة تامةً؛ فلا أثر لعلم الله سبحانه في أفعال العباد، لأن أفعال العباد لا تتبعه؛ بل علم الله هو الذي يتبع أفعال العباد؛ والله سبحانه في مرتبة وجوده قبل أن يخلق الخلق قدَّر الخلق، ووضع هذا النظام التام الذي هو خيرٌ كله والذي يعرض فيه الخير والشر للأفراد"[5].

وكما أنه ذهب في الدرس الرابع من الدروس الدينية المنشورة في (مجلة الأزهر) إلى: "أن الله تعالى لو شاء هداية الناس جميعاً لهداهم؛ على معنى أنه يخلقهم خلقاً آخرَ على طبيعةٍ أخرى، مثل طبيعة الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولكن الإنسان إذ ذاك لا يكون هذا المخلوق الذي أريد له أن يكون صاحب إرادة واختيار، تكون سعادته بإرادته وشقاؤه بإرادته"[6]، فكأن الله تعالى يهدي من هداهم من الناس، بسلبهم الإرادة والاختيار، وإخراجهم من نوع الإنسان أو لا تكون هداية الناس من الله، وإنما تأتيهم الهداية من إرادتهم واختيارهم.

الاتجاه الثالث: القول بالجبر تبعاً للنظريات الغربية التي تعتبر الإنسان مسيراً وفق عوامل الطبيعة.

---

[1] رسالة التوحيد، محمد عبده، ص32-33، وموقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص 41.

[2] انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص41-42.

[3] الفتاوي: محمود شلتوت، ص47.

[4] الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ص50، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي، 540/2.

[5] تفسير سورة الحديد، محمد مصطفى المراغي، مجلة الأزهر، المجلد الثاني عشر، العدد 5، ص 265-266، وموقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 341/3.

[6] موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري ، 337/3-338.

ذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى تبني آراء النظريات الغربية المادية التي تفسر حياة الإنسان وأفعاله وفق عوامل الطبيعة والنواميس الكونية، وتعتبر الإنسان مسيراً وفق الأسباب المجبرة، كـ "الوراثة"، و"البيئة"؛ و"التربية"، وقد برز من هذا الاتجاه محمد فريد وجدي، ومحمد حسنين هيكل في أحد أطوار حياته، وعبد الرحمن صدقي.

فيقول محمد فريد وجدي: "اتحد الدين والعلم الطبيعي على أن الإنسان مجبر على أفعاله حتى أن أحد رؤوس الماديين بوخنر الألماني قال: إن الحرية الإنسانية التي اعتبرها الروحيون مبدأ للاختيار والإرادة وهم باطل، فإن الإنسان في ذاته حادث طبيعي محكوم بالطبيعة التي كونته والمناخ الذي رباه والوسط الذي يقله والجنس الذي نشأ منه، والتربية التي غرست فيه من صغره"[(1)].

ويضرب محمد فريد وجدي مثال على ذلك الجبر فيقول: "يتصدق الرجل منا مثلاً فإن سألته عن السبب الذي حمله على التصدق قال لك إرادتي فإن سألته وما الذي حرك إرادتك؟ قال شفقتي فإن قلت وما الذي أوجد لك الشفقة دون جارك؟ قال ورثتها عن أبي وجدي أو من طبيعة مزاجي فإن سألته ومن الذي أوجد لك هذا المزاج وصور أباك شفقاً؟ قال الله تعالى بما أوجده من عوامل، إذن فقد حكم بأن الباعث للصدقة في الواقع هو الله وهكذا نستطيع أن تصعد بسائر أعمالك إلى موجدها الأول سبحانه وتعالى، هذا معنى القضاء والقدر وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]، وبعد أن أثبت الله تعالى علمه بالجزئيات قرر في آية أخرى بأن كل الحوادث هو فاعلها فقال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: 78] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: 96]"[(2)].

ويزعم محمد حسنين هيكل: "أن أعصابنا وتياراتنا المادية هي التي تصدر عنها أفعالنا التي تبعث بها إرادتنا وإن أي مادة أخرى يمكن أن تؤثر في هذه الأعصاب والتيارات تغير في اتجاه الإرادة والعمل، لذلك فما تقدم لا يدع مجالاً للريب في أن الحالة الإرادية ليست إلا طوراً خاصاً من أطوار الحال العكسية وأنها متعلقة تمام التعلق بتأثر أجهزة الجسم وتياراته بالآثار الخارجية وهذه الآثار هي المحيطات الزمانية والمكانية، ومعنى هذا الإرادة الحرة لا وجود لها... وإلى هنا نرى أننا أثبتنا مبدأ الجبر المطلق وأقمناه على أساس متين"[(3)].

ويضيف قائلاً: "لقد سبق منا فيما كتبنا عن الاختيار والاضطرار أن أظهرنا أن هناك عوامل كثيرة تعمل في تكوين حياة الفرد الخاصة كالوراثة وطوارئ الحوادث ونوع التربية وبينا حينذاك أن الفرد وإن لم يكن له وجود خاص وإنما هو ذرة تصرفها حياة العالم وهي تسير مكرهة في الطريق الذي يرسم لها" [(4)].

ويذهب عبد الرحمن صدقي في مقالة له بعنوان القضاء والقدر في رأي العلم الحديث ليقول:" كلما تقدمت العلوم الطبيعية كانت أشد قبولاً في مجالاتها لفكرة الجبرية...فكل شيء في نظر العلم محكوم بالسببية، خاضع لسياقها المحكم، صادر عن علل طبيعية إلى نتائج حتمية...فمهما قيل عن حرية الإنسان فلا حرية له في تغيير غرائز الخلقة الطبيعية والإخلال بالنواميس الكونية"[(5)].

ويبدو أن النظريات النفسية التي ألبست صفة العلم، مثل نظرية دوركيم (العقل الجمعي) والذي زعم فيها" أن الإنسان حيوان خاضع إلى الجبرية الاجتماعية، أو قهر اجتماعي يفرضه عليه العقل الجمعي للقطيع البشري، ويستمد شواهده المؤيدة من عالم

---

(1) مقدمة المصحف المفسر: محمد فريد وجدي، ص137.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) القدرية والجبرية، محمد حسنين هيكل، مجلة المقتطف، العدد 2، 1-فبراير-1917م ص 118، ص120.

(4) القدرية والجبرية، المسئولية طبيعة فكرتها وتكوينها في النفس(4)، محمد حسنين هيكل، مجلة المقتطف، العدد 6، 1-يونيو-1917م، ص549.

(5) القضاء والقدر في رأي العلم الحديث، عبد الرحمن صدقي، مجلة الهلال ، العدد الخامس، 1، مارس، 1938م ، ص498-500.

الحيوان ومجتمع الحيوان" (1)، كان مسيطرًا على تفكير رواد المدرسة العقلية الحديثة، وخاصة أصحاب الاتجاه الليبرالي فجاءت آراؤهم مطابقة لها.

وقد صرح الأستاذ حسين رمزي، أستاذ علم النفس، بجامعة فؤاد، في محاضرته التي نشرتها " مجلة القضاء الشرعي أنه: " قد أظهر دارسو الإرادة في بادئ الأمر وبتأثير النظرية الميكانيكية، أن الإنسان مجرد جرثومة حية، تحمل أثناء تكوينها ونموها عن طريق الوراثة آثار الأجيال الماضية ما بين صفات طبيعية ومرضية، وأن هذه الجرثومة تنشأ خاضعة لتأثير بيئة طبيعية مرتبطة بظروف اجتماعية، منها: الغنى والفقر، والجهل والعلم، والحالة الأدبية، والمدنية... الخ، فالإنسان مسير لا مخير؛ وهذه النظرية ذاعت في شكل حكم علمي، بتأثير أنصار النظرية الميكانيكية، وأخذ بعض المشرعين في سن قوانين على أساس غير أساس حرية الإرادة"(2).

ويكفي للرد على هذا الاتجاه من العقلانيين أن هذه النظريات بُنيت على قاعدة إلحادية لا تؤمن بوجود الله تعالى فضلاً على أن يسير الكون ومخلوقاته، فالإنسان من وجهة نظر هذه النظريات مسير تحت عوامل الطبيعة وفرق عظيم بين القول بكونه مسيراً تحت تلك العوامل وبين القول بكونه مسيراً تحت مشيئة الله.

ويضرب الشيخ مصطفى صبري مثالاً على عدم تسيير العوامل الطبيعية للإنسان بأنا نرى أخوين لأبوين ورثا دماً واحداً وتربيا في بيئة واحدة، وتعلما في مدرسة واحدة، وحف بأحدهما ما يحف بالآخر من الظروف الأدبية والمدنية ثم اختلفا وتباينا في السيرة والعمل"(3).

كما أن تناقض آراء العقلانيين في مسألة القضاء والقدر، وزعم كل اتجاه منهم استناده للدليل العقلي والدليل العلمي يكفي في الرد عليهم(4)، وإدراك إلى أي مدى وصل تأثير النظريات الإلحادية فيهم وفي آرائهم.

المطلب الثالث: مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر.

راجت في البلاد الإسلامية دعاية بثها الغرب من خلال دعاتهم العقلانيين ضد عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، وأثاروا من خلالها عدة شبهات ومزاعم حول الإيمان بالقضاء والقدر(5)، وقد رد الشيخ مصطفى صبري على زعمهم أن عقيدة القضاء والقدر هي سبب تأخر المسلمين، إضافة لمزاعم أخرى عالجها الشيخ في أثناء رده على منكري القدر، وفيما يلي نجمل أهم تلك المزاعم:

أولاً: الزعم أن الإيمان بالقضاء والقدر سبب تأخر المسلمين، وأن عقيدة القضاء والقدر بمعنى رد كل شيء إلى مشيئة الله تعالى تسوق الناس إلى العطالة والبطالة وتعوقهم عن المساعي، وأن المسلمين تأخروا في صفوف الأمم بهذا السبب العائق فوقع كثير من الناس في هذا الشَرَك، حتى بعض علماء الدين كتبوا تحت تأثير هذه الدعايات، إن لم يكن في تخطئة عقائد المسلمين في مثل التوكل والقضاء والقدر، ففي تخطئتهم في فهم معانيها فالتزموا الإصلاح والتعديل في تفسيرها وكثيراً ما أوقعوا أنفسهم في الخطأ(6)، ولا شك أن شر الأفكار الدخيلة أخفاها دخولاً، كما أن أكبر الأعداء أخفاهم معادة وداء التقليد للغرب الذي غدا آخر الأمراض التي أصيب بها المسلمون وأشدها تعجيلاً لموتهم(7).

---

(1) قواعد المنهج في علم الاجتماع، إميل دور كايم، ص24، ص222، والعلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة، سفر الحوالي، ص198-199.

(2) موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص18، وموقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 37/3، الهامش.

(3) موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص19.

(4) انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي، 537/2.

(5) انظر: أجنحة المكر الثلاث، عبد الرحمن بن حسن حنبكة، ص252، الاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر العقل، ص330.

(6) موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص218.

(7) المرجع السابق، ص7.

وكون عقيدة الأشاعرة في القدر كانت السائدة في زمن الشيخ مصطفى صبري، فقد وجه العقلانيون مزاعمهم لها، فاتهم الشيخ محمد عبده مذهب الأشاعرة في القضاء والقدر أنه يؤول إلى هدم الشريعة ومحو التكاليف[1]،[2].

وقد تأثر بعض العلماء بدعاية الغربيين وأتباعهم ضد عقيدة القضاء والقدر، فيذهب الشيخ محمد بخيت في محاضرة له ليقول: "إني في هذه الليلة أريد أن أتحدث معكم في القضاء والقدر، وذلك لأن معناها الحقيقي التبس على كثير من الناس والتبس عليهم مراد الشارع منهما حتى أنهم توهموا لكثرة استعمال هذين اللفظين أن فيهما معنى الإكراه والإجبار وليس كما توهموه"[3].

وفي ختام محاضرته يقول: "وقس على هذا الحديث أمثاله من الأحاديث والآيات ولا تغتر بأقوال الذين جهلوا حقيقة التشريع الإلهي وجبلوا على تثبيط همم العاملين وبث روح الكسل والتقاعد عن العمل الصالح"[4].

والحق أن الأشاعرة لم يقولوا بالجبر المطلق، ولا أنكروا اختيار العبد، ولم يمر ببالهم إنكار كونهم مكلفين[5]، هذا فضلاً على أن يأمروا الناس بالكسل والدعة، ولم يجعلوا دينهم البطالة.

والواقع أن هناك فرق كبير بين الأشاعرة الذين يرفضون الجبر جملةً وتفصيلاً، وبين من يتبنى مبادئ الجبر ويجعل الإنسان جماداً لا إرادة له ولا اختيار بل هو كالريشة في مهب الريح[6]، فتصوير قول الأشاعرة بقول الجبريين سواء من الملاحدة الغربيين أو أتباعهم العقلانيين أو ممن تأثر بدعايتهم من علماء الدين إنما هو ظلم فاحش الهدف منه ليس الأشاعرة وإنما عقدية القضاء والقدر الركن السادس من أركان الإيمان.

وقد خرج من رواد المدرسة العقلية الحديثة من زعم أن الإيمان بالقضاء والقدر له تأثير سلبي على المؤمنين به، ضارباً المثل بالأمم التي لم تؤمن بالقضاء والقدر فيقول أحمد بدوي النقاش: "إن المنتقد الخبير إذا نظر على يمينه وحول بصره إلى الأمم التي لا تدين بالإسلام لرأى منهم إقداماً ونشاطاً يحير الألباب بما يظهرونه من آيات الله ونعمه المدفونة في العالم من كل اختراع جديد وكشف مهم...مما يدل على الحياة الجميلة العالية حتى صارت هذه الأمم أبهج من نور الشمس بعلومها وقوتها واجتهادها وسهرها على ما ينفعهم في جميع أمورهم وكادوا يبتلعون الأرض وما عليها من نعم وخيرات ومنافع عديدة، ولعل سبب ذلك عدم تشرب قلوبهم بعقيدة القدر مقلوبة كما تشربها المسلمون وإن كانت هذه العقيدة مبحث كثير من علماء جميع الأمم فإذا حول بصره إلى الجهة الأخرى ونظر إلى الأمم الإسلامية على اختلافها لرأى الانقسام والتباغض والتحاسد والجهل والتأخر على أكثرهم ولعلم أن

---

(1) رسالة التوحيد، محمد عبده، ص32.

(2) الهجوم من الشيخ محمد عبده على مذهب الأشاعرة – بغض النظر عن الخلاف الذي بينهم وبين أهل السنة والجماعة في مسألة القضاء والقدر– له أهداف أخرى هي زعزعة العقيدة في نفوس المؤمنين بها وفتح باب الفتنة والتفريق، فما الهدف من هجوم الشيخ محمد عبده على مذهب الأشاعرة في الوقت الذي تهاجم فيه هذه العقيدة من الملاحدة والمستشرقين ؟!، ونسأله كذلك أيّ شريعة هدمها وأي تكليف محاه مذهب الأشاعرة الذي كان سائداً في علم الكلام ورأي الإسلام العلمي إلى عهد الشيخ محمد عبده وقد سلمت الشريعة الإسلامية من الهدم طوال سيادته؟، لكن الانهزام أمام الغرب بتزييف أفكار الإسلام وعقائده واحدة بعد واحدة واستبدال ما ترضاه لنا أوروبا مكانه، لم يُبقِ شريعة في المسلمين ولا حرمة لها منهم، فالشيخ محمد عبده لا تعجبه مذاهب الإسلام ومسالكهم التي احتفظت بالإسلام إلى زمان الشيخ لكنه لو شهد ما أصيب به الإسلام في مدة قصيرة مضت بعده إلى يومنا واستوعبت ما لا تسعه العصور الطوال من السقوط والانحلال المدهش بسبب آراءه وأهوائه الاعتقادية، انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص45.

(3) موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص219.

(4) المرجع السابق، ص218.

(5) المرجع السابق، ص 38.

(6) انظر: موقف الفرق الإسلامية من أفعال العباد، د. سعد عاشور، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني، 2001م، ص250.

الجميع في مرض مزمناً يعز شفاؤه ويكاد الإنسان ييأس من وجود دواء لشفائه وسببه في الغالب الخمول الناتج من فهم القضاء والقدر مقلوباً"[1].

ثانياً: أن الإنسان يتمتع بمطلق الحرية في أفعاله وتصرفاته، فليست هناك سلطة أخرى تحد من تصرفاته والإيمان بالقدر يحد من حريته بغير حق[2].أو بعبارة أخرى أن الإنسان موجد لأفعاله وهو مختارٌ لفعله واختياره دون أي سلطة عليه من الله[3].

فيرى حسن حنفي أن السبب في فقد الإنسان لقيمته في تراثنا الإسلامي يرجع إلى سيادة الاختيار الأشعري، وقد تكون هذه السيادة هي إحدى معوقات العصر؛ لأنها تعطي الأولوية لله في الفعل، وفي العلم والحكم وفي التقويم، في حين أن وجداننا المعاصر يعاني من أخذ زمام المبادرة هذه باسم الله مرة، وباسم السلطان مرة أخرى، ومن ثم فالاختيار البديل: هو الخيار الاعتزالي .. الذي قد يكون أكثر تعبيرًا عن حاجات العصر، وأكثر تلبية لمطالبه [4] .

أما إسماعيل مظهر فدعا إلى أن يصبح الحاضر المعبود الأعظم وإلى نبذ العقلية الغيبية في عصر العلم، فليست هناك حاجة إلى تلك القوى الغيبية التي أثبتها العقل الإنساني في مراحل تطوره الأولى، ذلك أن كل الحوادث الكونية مهما كانت صفاتها وضروبها من الممكن أن ترجع إلى أسباب طبيعية [5].

ثالثاً: أن الإسلام جاء ليحرر الإنسان من الاعتقاد بسلطان القدر، ورفع الوصاية عنه[6].

يزعم محمد أحمد خلف الله أن: "القرآن حرر الإنسان من الخوف الذي كان يفسر تفسيراً وهمياً ولم يكن يفسر تفسيراً علمياً، حتى كان يرد الكوارث إلى غضب الآلهة ولا يردها إلى السنن الطبيعية والظواهر الاجتماعية والتاريخية"[7]، ويبدو أن خلف الله خلط آراء وأقوال الملاحدة ونسبها إلى القرآن الكريم، فعلى كلامه السابق يكون الله لا دخل له بالكوارث وأنه لم يقدرها على عباده، وإنما الكون يسير وفق سنن طبيعية وظواهر اجتماعية وتاريخية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا.

المبحث الثالث: موقف الشيخ مصطفى صبري من معتقد المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر:

المطلب الأول: رد الشيخ مصطفى صبري على معتقد المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر:

تنبه الشيخ مصطفى صبري لخطر خوض المدرسة العقلية في القدر، وشدة الغارة الشعواء على علم الدين بين ظهراني علماء مصر، فقرر تألف كتابه موقف البشر تحت سلطان القدر للرد على مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القدر ومن تأثر بهم، وبيَّن إن كان هدفهم الدفاع عن الدين فلِمَ يميلون إلى تأويل تلك العقيدة بما يشبه إنكارها، أو إمالتها إلى مذهب المعتزلة الذي طالما نبذه الجمهور منذ صدر الإسلام ولا يزال تنبذه نصوص الكتاب والسنة، وإن كان القضاء والقدر حقاً مطابقاً للواقع ولأدلة العقل والنقل، وأجمع عليه علماء أهل السنة طوال الأعصار فلمَ يميل العقلانيون إلى إنكاره؟ فهل تنبه العقلانيون إلى اعوجاج عقيدة السابقين فجاءوا ليقوموها؟ ثم كيف تخفى عنهم آيات القرآن التي تشهد بالقدر وتنادي بسلطة مشيئة الله بحيث لا يستطيع متأولوها إلا أن يأتوا بما تمجه العقول السليمة ويضحك منه المتهمون الغربيون[8]، ولشدة مضار انسياق رواد المرسة العقلية الحديثة مع التيارات المنبثقة من

---

(1) علم القضاء والقدر، أحمد بدوي النقاش، ص 57.

(2) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر العقل، ص330.

(3) انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص28، ص29.

(4) التراث والتجديد، حسن حنفي، ص21.

(5) انظر: معضلات المدينة، إسماعيل مظهر، ص123، ص119.

(6) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر العقل، ص330.

(7) القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة، محمد أحمد خلف الله، ص79.

(8) انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص22.

الغرب ضد عقيدة القضاء والقدر وما تحمله في طياتها من دس ضد الدين نفسه[1]، فقد رأى شيخنا أنه من الواجب الذود عن هذه العقيدة وعدها من ضروريات الدين[2].

وقد بيَّن الشيخ مصطفى صبري بطلان أهواء رواد المدرسة العقلية في القدر من خلال الكتاب والسنة والعقل وأقوال علماء الغرب الذين هم عمدة العقلانيين وأئمتهم في التلقي والاستدلال وهذا ما نوضحه في التالي[3]:

أولاً: الرد عليهم من خلال النقل:

1. الرد عليهم من خلال القرآن الكريم:

1. من يتوهم من العقلانيين المنكرين لعقيدة القضاء والقدر كون الإنسان تحت سلطان القدر، تثبيطَ الهمم عن الأعمال النافعة، وإلغاء المسؤولية عن الأعمال الضارة، بناءً على أن الإنسان لا يكون مجبوراً ومسئولاً معاً؛ وإلا كان ظلماً له، فينتهون من هذه المقدمات إلى أنه حرٌّ قادرٌ بإذن الله على أن يفعل ما يشاء، وليس على الإنسان سلطانٌ،" ونحن نقول: لكنهم تحت سلطان الله، وإنهم إن كانوا أحراراً في أن يفعلوا ما يشاؤون، فليس لهم أن يشاؤوا ما يشاؤون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: 30]، و﴿اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: 8]؛ و﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 142]، و﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الشورى: 8]، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الجمعة: 4]؛ ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: 39].

أفلا يكون التمدح من الله سبحانه في هذه الآيات الكثيرة الأمثال بمشيئته، ولا سيما تمدحه بمشيئته في انتخاب أناسٍ للهداية، وأناس للضلال، وقعَ عبثاً لا قيمة له فعلية؟، بعد أن كانت مشيئة الله تابعة لمشيئة الإنسان من عند نفسه هدايةً وضلالاً، على الرغم من قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: 78]، كلا بل الإنسان ومشيئاته في قبضة الله وتحت سلطانه؛ يمشّيها كما يشاء، و﴿ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ﴾ [الأنفال:24]، ﴿وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص:68]، ومع ذلك فهم مسؤولون عما يعملون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:93]؛ فموقف الإنسان دقيقٌ جداً، بالنظر إلى العقل والنقل معاً؛ لأنه مختارٌ في أفعاله لاستنادها إلى إرادته، ومضطرٌ في إرادته لاستنادها إلى إرادة الله"[4].

---

[1] يذكر الشيخ مصطفى صبري أن الطعن في عقيدة القضاء والقدر لم يصل المسلمين من عقلاء الغربيين ذوي الآراء السامية بل أتى من مؤلفيهم المتعصبين ضد الإسلام أو من ملاحدتهم الذين دينهم معادة الأديان عامة والإسلام خاصة لوقوفه في وجوههم ولأنهم القدوة للمقلدين الشرقيين وإلا فعقلاء الغرب وعلماؤهم خاضعون لسلطة القضاء والقدر، موقف البشر تحت سلطان القدر، ص، 27، الهامش.

[2] انظر: المرجع السابق، ص23.

[3] من الواجب التنبيه أن الشيخ مصطفى صبري ينتصر لمذهب الأشاعرة في القضاء والقدر وميلهم إلى الجبر المتوسط وبالرغم من الاختلاف بين أهل السنة والأشاعرة في هذه المسألة إلا أنه كل دليل صحيح يقيمونه للرد على المعتزلة ومنكري القدر، ويدل على أن الله خالق كل شيء وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال عباده من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإنما هو دليل صحيح عند أهل السنة، انظر: لمزيد من الإيضاح في هذه المسألة شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص437.

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، 266/15، موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 346/3-347.

وقد عد الشيخ كلام العلامة الآلوسي في تفسير الآية ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: 30]، أوضح دلالة إذ قال:" وما تشاؤون" أي الاستقامة بسبب من الأسباب ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: 30]، أي إلا أن يشاء الله مشيئتكم فمشيئتكم بسبب مشيئة الله تعالى أي لا تشاءون الاستقامة إلا بأن يشاء الله أن تشاءوها"[1].

وقد تكلم الشيخ بكل صراحة أنه كان على المذهب الماتريدي وكان يشكل عليه تأليف بين آية ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: 30]، مع مذهب الماتريدية فلما انضم إليه قوله تعالى: في العديد من آياته في كتابه أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، انجلى في نظره أن القائل بأن الأمر كله لله وأن العباد لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله وغير ذلك مما يصرح بالجبر، والقائل﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 93] هو الله ولا قِبل له أن يرفض أياً منهما فلا بد إذًا اعتقاد القولين معاً وأحيل التأليف بينهما – إن لم أقدر عليه– إلى علم الله، فترك الشيخ مذهب الماتريدية الذي يمثل طرف من الآيات دون الآخر وتمذهب بما يكون طرفاه قول الله تعالى[2].

2. هناك الكثير من الآيات التي تزيد المؤمنين بالقدر إيماناً وتدل على عظمة مشيئة الله وسلطانه منها:

1. قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 27 – 29].

2. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (29) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: 29، 30].

3. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل:93].

هذه الآيات تثبت أن مشيئة الله تعالى فوق كل مشيئة وأنه لا يكون إلا ما شاء الله له أن يكون، وأنه لا تتبع مشيئته سبحانه وتعالى كما ظن بعض العقلانيين مشيئة الإنسان فتعالى الله عن ذلك علواً كبيرا، ومع ذلك قد يظن البعض أن آيات الهداية والضلال مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: 56]، تتعارض مع آيات أخرى مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، فبين الشيخ مصطفى صبري أنه لا تعارض بين هذه الآيات لأن للهداية ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الهداية العامة: وهي هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، والمثال عليها من الآيات قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى(1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى(2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[الأعلى:1 – 4]، وقوله ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50].

المرتبة الثانية: مرتبة البيان والدلالة والتعليم والدعوة والإرشاد، وهي أخص من المرتبة الأولى وإن عمت المكلفين وهذه المرتبة لا تستلزم حصول التوفيق واتباع الحق وإن كان شرطاً فيه أو جزء سبب ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: 17] ، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

---

[1] موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص 78-79.

[2] المرجع السابق، ص94

المرتبة الثالثة: هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة لفعل الخير وهذه أخص المراتب وهي المرادة بقوله تعالى:﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ﴾ [الأعراف: 178] وقوله: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ [الزمر: 37]"[1].

4. الصراحة الواقعة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: 62]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: 96]، وقوله تعالى:﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ [فاطر: 3]، وقوله تعالى:﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]، تصادم ما ذهب إليه المعتزلة وترده صراحة فكيف يكون الإنسان تجاه هذه الآيات خالق أفعاله أي موجدها والخلق والإيجاد سواء وفي مذهبهم نوع من الإشراك بالله تعالى ولا يعتذر عنهم بعدم كونه إشراكاً في الألوهية وادعاء انحصار المحذور فيه لأن الآيات المذكورة تنفي الإشراك بالله في الخالقية وتنطق بأنه لا شريك له فيها أيضاً[2].

وقد نقل الشيخ مصطفى صبري ما قاله ابن القيم في القضاء والقدر وعده أصح قول قاله في هذه المسألة قائلاً:" هذا وأصح قول قاله ابن القيم:" ومعاذ الله والله أكبر وأجل وأعظم وأعز أن يكون في عبد شيء غير مخلوق له ولا هو داخل تحت قدرته ومشيئته فهو عبد مخلوق من كل وجه وبكل اعتبار وفقره إلى خالقه وبارئه من لوازم ذاته وقلبه بيد خالقه وبين أصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء فيجعله مريداً لما شاء وقوعه منه كارهاً لما لم يشأ وقوعه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ونعم والله سلسلة المرجحات تنتهي إلى أمر الله الكوني ومشيئته النافذة التي لا سبيل لمخلوق إلى الخروج عنها"[3].

5. الرد عليهم من خلال السنة النبوية المطهرة:

استدل الشيخ مصطفى صبري بعدة أحاديث تقرر الإيمان بالقضاء والقدر وأحاديث أخرى تحذر من التكذيب بالقدر وفيما يلي نبذة من هذه الأحاديث:

1. ثبت عن النبي ﷺ؛ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره"[4] فهذا الحديث تجتمع فيه رؤوس عقائد الإسلام التي يهتم بها أهل السنة وتشتمل على الإيمان بالقدر، ولهذا اتفق أئمة الهدى على تضليل المعتزلة لإنكارهم القدر الذي أدخله رسول الله ﷺ في حديث الإيمان، ولعن منكريه في أحاديث أخرى[5]، فيقال للعقلانيين هل يكفي بالإيمان بالقدر المنصوص عليه في الحديث السابق إيمانهم بالقدر التابع لأفعال الإنسان كما يزعمون وكأن واجب المؤمن بالقدر إيمانه بالقدر الذي أمره بيده[6].

2. جاء في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي عن ابن الديلمي قال: أتيت أُبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه عنى من قلبي فقال:" إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك كنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكل

---

[1] المرجع السابق، ص111-112.

[2] المرجع السابق، ص52.

[3] موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص 213، وشفاء العليل، ابن القيم، ص144.

[4] صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {إن الله عنده علم الساعة} [لقمان: 34]، حديث رقم: 4777، 115/6.

[5] موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 3/ 347

[6] انظر: المرجع السابق، نفسه.

منهم حدثني بمثل ذلك عن رسول الله ﷺ"(1)، فمن هذا الحديث تعلم أهمية الإيمان بالقدر وما يحتاج إليه من آمن به ولم يبق في قلبه شيء من الاعتزال المخل بالإيمان.

وقد قال ابن القيم:" لهذا الحديث شأن عظيم وهو دال على أن من تكلم به أعرف الخلق بالله وأعظمهم له توحيداً وأكثرهم تعظيماً وفيه الشفاء التام في باب العدل والتوحيد فإنه لا يزال يجول في نفوس كثير من الناس كيف يجتمع القضاء والقدر والأمر والنهي وكيف يجتمع العدل والعقاب على المقضي المقدر الذي لابد للعبد من فعله"(2).

وقد بين الشيخ مصطفى صبري أن أحاديث القدر –التي ذكر العديد منها في كتابه موقف البشر تحت سلطان القدر(3)– متواترة المعنى وأكثرها يتضمن ذكر العمل فأهل التأويل يتمسكون به ويجعلون القدر القاضي بدخول الجنة والنار مبنياً عليه لكن الحق أن للعمل أيضاً نصيباً من القدر فإن كان المقدر عمله بعمل أهل الجنة يعمل به وإن كان المقدر عمله بعمل أهل النار يعمل به"(4)، وسنأتي لذكر المزيد من هذه الأحاديث للدلالة على أن الإيمان بالقدر يحث على الاجتهاد في العمل في موضعه من هذا البحث.

ثانياً: الرد عليهم من خلال ما ذهب إليه بعض علماء الغرب في أفعال العباد:

استدل الشيخ مصطفى صبري للرد على منكري القدر والزاعمين تأخر المسلمين بسبب عقيدة القضاء والقدر بما يؤمن به العديد من علماء الغرب للدلالة على كذب ما يروج له العقلانيون، فهناك علماء غرب جبريون وهناك علماء أخرون مثبتون للقدر وهذا ما نوضحه في التالي:

1. علماء الغرب القائلين بالجبر المحض وأن الإنسان مسير لا مخير(5):

إن العقلانيين المنكرون للقدر المبهورين بالغرب والمرجعين تطورهم المادي إلى نبذهم عقيدة القدر، يتجاهلون أن كثيراً من علماء الغرب يقولون إن الإنسان مسير لا مخير أي ينفون اختياره كما في مذهب الجبر المحض، وكان انتهاء علم النفس إلى أن الإنسان مسير لا مخير حمل بعض علماء الغرب على القول بلزوم التعديل في قوانين العقوبات وفق قوانين العقوبات وفق ما ينتهي إليه علم النفس(6).

ونقل الشيخ مصطفى صبري عن كتاب مبادئ الفلسفة للمؤلف الفرنسي " جورج ل. فونس غريو" والذي يُدَرس في مرحلة الليسان في فرنسا في عهد الشيخ أن الغرب مليء بالذاهبين مذهب الجبر من رجال الدين المسيحي والفلاسفة القدماء والمتأخرين وقد ذكر الشيخ مجموعة منهم(7)، ثم وأورد الشيخ قول أحد فلاسفة الغرب سبنوزا وشو بنهور عن إرادة الإنسان إذ قال:" لو أن حجراً ألقى

(1) مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (21611)، 486/35، وسنن أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم:(4699)، 225/4، قال الألباني صحيح.

(2) شفاء العليل، ابن القيم، ص113.

(3) انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص113–119، ص 120–121.

(4) المرجع السابق، ص 117.

(5) لا يظن في الاستدلال بقول علماء النفس الغربيين أنا نأخذ بآرائهم كما يأخذ بها مفتوني الشرق، فربما يكون قولهم مبني على القول بالطبيعة وكون الإنسان مسيراً تحت العوامل الطبيعية، فهم لا يثبتون وجود الله حتى يقولوا مسيراً بمشيئته تعالى.

(6) موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص29–30.

(7) المرجع السابق، ص238–239.

في الهواء وكان لديه شعور وإدراك لظن أنه إنما يتحرك بمحض إرادته الحرة وأنه هو الذي يختار الزمان والمكان الذين يقع فيهما وما أشبه الإنسان في حياته بذلك الحجر الملقى: كلاهما تدفعه قوة خارجية وكلاهما يتوهم أنه حر لا سلطان على إرادته" (1).

"والإنسان يتعجب من غرور مؤلفي الغرب واستخفافهم بمذاهب الإسلام وعدم علمهم بها ويتعجب من سفهاء المسلمين المقلدين لهم في ذاك الغرور وذاك الجهل ومن علماء الدين الذين يعظم في أعينهم ذاك الغرور وذاك الجهل من الفريقين فيناقشونهم في وجل وتقهقر "(2).

وهنا نسأل العقلانيين المعجبين بحال الأمم الغربية هل يكون قول علمائهم بالجبر وبنفي الإرادة للإنسان قاضياً على رقيهم ونشاطهم وجذاماً يفتك فيهم وشللاً عاماً.

2. علماء الغرب المثبتين للقدر:

استشهد الشيخ مصطفى صبري بأقوال العالمين " شارل بوردان" و" بوسوئه" وهما من المثبتين للقدر حيث نقل عن العالم" " شارل بوردان" قوله إن:" الإنسان مختار وهذا أمر متيقن يشهد به شعورنا وصفات الله تعالى غير متناهية وهو أيضاً من الأمور اليقينية التي يدركها العقل وهذا اليقين ذو الطرفين متمكن وراسخ في القلب منذ بدأ الانكشاف للعقل وأخذ يتأمل ويتفكر فهو في غنى بصدد إثباته عن الخوض في التحقيقات والذي ينتظر من الفلسفة أن لا يُضعف هذا اليقين بسفسطاتها ويقصر واجبها إزاء هاتين الحقيقتين غير القابلتين للجرح على تصديقهما واليوم الذي تكتشف فيه الفلسفة ملتقى هاتين الحقيقتين الغامض سوف يكون من أعظم أيام تاريخ الإنسانية لكن ليس لها اليوم إنكارهما بحجة أنها لا تعرف طريق التأليف بينهما"(3).

وكلام العالم السابق قرره الشيخ بقوله:" وهذا عين ما قلته وعُنيت بتقريبه من الأذهان من الجمع بين عقيدة كون الإنسان مختاراً في أفعاله مسئولاً عنها مع كون اختياره وإرادته كلية أو جزئية تحت سلطة إرادة الله على موجب قوله تعالى:﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: 30]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 93] وقد نبهت على أنه لا يجوز الإخلال بأي واحدة من الحقيقتين الثابتتين بحجة أن العقل لا يقدر على أن يؤلف بينهما قلت هذا قبل ما رأيت قول العالمين الغربيين " شارل بوردان" و" بوسوئه" فأشكرهما على مجيء قولهما مؤيداً لقولي" (4).

رابعاً: الرد عليهم من خلال دلالة العقل على ثبوت القضاء والقدر.

1. المقصود من الإيمان بالقدر رد الأمور كلها إلى الله تعالى كما وقع في الحديث الصحيح "... اللهم إني عبدك ابن عبد ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماض في حكمك..."(5)، وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: 56] وليس في الإيمان بالقدر التابع لاختيار العباد فيما يتعلق بأفعالهم الاختيارية رد الأمور إلى الله تعالى بالمعنى الذي يعتد به، بل إن هذا الاعتقاد يتضمن إنكار القدر الذي اهتم به الإسلام ولعن منكريه كما مر سابقاً في الأحاديث التي ذكرناها وتواتر معناها(6).

---

(1) المرجع السابق، ص153.

(2) المرجع السابق، ص 239.

(3) المرجع السابق، ص 254.

(4) المرجع السابق، ص 255.

(5) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، كتاب الرقائق، باب الأدعية، حديث رقم (972)، 253/3، صححه الألبان في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم(199).

(6) المرجع السابق، ص76.

2. من المعلوم أن الملاحدة العصريين لما كبر في أعينهم رقي الفن والصناعة وزلزل عقولهم فلم يُبقي فيها سلامة ولا رزانة، صاروا يعظمون قدرة الإنسان وينكرون الله أو يزيدون في إنكارهم إن كانوا غير مؤمنين به من قبل، أما المؤمنون فيقولون إن كان عقل البشر له أهمية كبيرة ومقدرة خطيرة فهذه القوة البديعة التي تلد صناعات الدنيا وهذه الماكينة التي هي ملِكة الماكينات وصانعتها لا يمكن أن تكون أثر التصادف الأعمى الذي يعبر عنه بالطبيعة بل يستنبطون من كل خطوة يخطوها عقل البشر إلى الرقي دليلاً على وجود الذات الأجل الأعلى الذي لا ترى العقول المخلوقة إلا بنوره وإلا بقدر ما تستمد منه والمؤمن يرى بنور الله إن من نعبر عنه بالمخترع يفهم فقط أي يكشف من الكنوز التي أودعت في العالم ولم يعثر عليها ويأخذ كل ما يحتاج إليه في اكتشافه من الأمور التي خلقها الله ووجدها المكتشف حاضرة أمامه لا يخلق هو نفسه ذرة ولن يستطيع أن يخلقها أبداً وإنما يدرس المخلوقات فيزيد بالتدريج في اطلاعه على ما أودع خالقها في كل ذرة منها من الأسرار الدقيقة والخواص المحيرة للعقول فيجب على الإنسان الضعيف كلما اكتشف عقله من دقيقة أن يتفكر فيمن وهب له هذا العقل الذي لا يدرك حقيقته وأن يخجل أمام عقله بله أن يطيش به اكتشافه فيجحد بواهبه، فينبغي له أن يزداد تصاغراً كلما ازدادت اكتشافاته أمام عظمة قدرة الله الذي خلق نفس المكتشف وعقله وخلق كل شيء "[1].

3. لو كان الإنسان موجد أفعاله كما يزعم العقلانيون لزم أن يعلمها بتفاصيلها ضرورة لأن إيجاد الشيء بالقدرة والاختيار لا يكون إلا كذلك كما قال تعالى:﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك: 14] والحال أن من خطا خطوة في مشيه مثلا لا يعلم عدد السكنات التي تخللها وليس هذا ذهولاً عن العلم مع كونه عالماً بل لو سئل لم يعلم وهذا في أظهر أفعاله، وأما إذا تأمل في حركات أعضائه في المشي والأخذ والبطش ونحو ذلك مما يحتاج إليه تحريك العضلات وتمديد الأعصاب وغير ذلك فالأمر أظهر وجهله به أجلى، فأنى له أن يخلق أفعاله؟![2].

4. يقال للعقلانيين الذين يزعمون أن الله فوض مشيئته وقدرته لعباده ماذا تقولون في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الكهف: 23، 24]؟ فهل يصح له أن يقول أن معناه " ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا بمشيئة الله التي خلقها فيك وجعلك متصفاً بها؟، وخلاصته أنك تفعله معلقاً بمشيئتك لا بمشيئة الله، كذلك قولنا آتيك غداً إن شاء الله على أن يكون معناه آتيك بمشيئة الله التي خلقها في وجعلني متصفاً بها حينما خلقت" وحاصله " آتيك مستنداً إلى مشيئتي" فحينئذ لا يكون معنى لإفادته في صورة الشرط لأن كون صاحب الإرادة متصفاً بصفة المشيئة معلوم له حين تكلم هذا الكلام فكأنه يقول آتيك غداً إن كان الله خلقني متصفاً بصفة المشيئة ويكون حينئذ قول القائل لزوجته " أنت طالق إن شاء الله" إيقاع الطلاق لا إلغاء الحكم بتعليقه على مشيئة من لا تعلم مشيئته، وبذلك يتبين أن المشيئة الواقعة موقع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الكهف: 23، 24]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: 30]، مشيئة الله لا مشيئة العباد التي خلقها فيهم وجعلهم متصفين بها.

5. يظن الشيخ المراغي وغيره من العقلانيين أنه حل مسألة ارتباط أفعال الإنسان، ككل كائنٍ في العالم بعلم الله وإرادته؛ أي بقضائه وقدره بالتنبيه إلى كونهما تابعتين لاختيار الإنسان من دون عكس، أي من دون أن يكون اختيار الإنسان تابعاً لعلم الله وإرادته بناءً على أن إرادة الله تابعةٌ لعلمه؛ وأن العلم صفة انكشافيةٌ لا إلزام فيها، فهو يتبع في أفعال الإنسان اختيارَه، من غير تأثير فيه فعلى ما ذكره لا معنى لأهمية مسألة القدر وأهمية الإيمان به في الإسلام، فهو تابعٌ في أفعال العباد لما سيكون منها على وفق اختيارهم؛ حتى إنه لو لم يكن تقدير الله، المتعلق بها في الأزل، لم يكن له أثرٌ في وقوعها فيما لا يزال، على حسب اختيارهم؛ وحتى

[1] المرجع السابق، ص 184-185.

[2] المرجع السابق، 52-53.

إنه يمكن القول بعدم لزوم هذا التقدير، لعدم فائدته غير التبعية لأفعال الإنسان، بواسطة تبعية علم الله لمعلوماته، و تبعية إراداتهِ لعلمه، التابع لمعلوماته، ففي العلم كفايةٌ، وإغناءٌ عن التقدير المتعلق بأفعال العباد ما دامت تلك الأفعال لا تتبع إلا اختيارهم أنفسِهم، حتى إن اختيار الله أيضاً، المتعلق بأفعال العباد، يتبع اختيارهم بواسطة تبعية علم الله، لمعلوماته من غير تأثير فيها، تبعية إرادته لعلمه.

فمآل قول الأستاذ الأكبر، إنكار الإيمان بالقدر، الذي ورد في تحذيره أحاديث نبوية كثيرة مر ذكر بعضها سابقاً[1].

وهل يكفي الأستاذ الأكبر إيمانُه بالقدر، التابع لأفعال الإنسان؛ كأن واجب المؤمن بالقدر إيمانه بالقدر الذي أمره بيده، فإنكار القدر الذي كان في الماضي مذهب المعتزلة وأصبح الآن مذهب العصريين تقليداً للغرب، يوجب على علماء العصر المحتفظين باستقلال آرائهم، أن يناقشوا المنكرين، ويسعوا في تأييد الإيمان بالقدر وتجديده[2]، درئاً لفتن العقلانيين المفتونين بالغرب.

المطلب الثاني: رد الشيخ مصطفى صبري على مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القضاء والقدر.

اطلع الشيخ مصطفى صبري على ما يروج له رواد المدرسة العقلية ضد عقيدة الإيمان بالقدر، ورأى كذلك مشاركة بعض ممن نصب نفسه للإرشاد والمجاهدة في سبيل الإسلام في الترويج لهذه التهمة متهماً مذهب الأشعري في مسألة أفعال العباد ولم يفطنوا أن دخول فكرة اتهام المسلمين بعقيدة القضاء والقدر من أعدائهم الغربيين نتيجة داء تقليد الغرب الذي أصيب به المسلمون تحت مسمى التجديد[3]، وقد بين صبري أن الاستماع لهذه المزاعم ثم السعي في تصوير المسألة بصورة ترضي الناقد الغربي والمتفرنج الشرقي لجدير بأن يعد من الضعف والجبانة التي يعاب عليها المسلمون المتأخرون، وتدل على حركة قهقرية أمام المتهم الغربي أو أخيه الشرقي [4]، وفيما يلي نبين أهم هذه المزاعم:

أولاً: رد الشيخ على ادعاء تأخر المسلمين بسبب الإيمان بالقضاء والقدر:

وقد رد شيخنا على هذه الفرية من خلال النقل والعقل:

1. فمن خلال النقل:

استشهد الشيخ رحمه الله بالعديد من الأحاديث التي تربط العمل بالإيمان بالقدر داعياً الزاعمين أن الإيمان بالقدر يورث الكسل والخمول وعدم العمل، إلى النظر ماذا يقول رسول اللهﷺ في القدر وكيف يؤلف بينه وبين العمل، فمما روي عنه:

1. عن زيد بن أبي أنيسة: أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، أخبره: عن مسلم بن يسار الجهني: أن عمر بن الخطاب، سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: 172] فقال: سمعت رسول اللهﷺ سئل عنها، فقال:" إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذريته، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون؛ ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون؛ فقال رجلٌ: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال: إن الله إذا خلق العبد للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة؛ وإذا خلق العبد للنار، استعمل بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله النار"[5]، وأحاديث القدر متواترة المعنى، وأكثرها يتضمن العمل؛ فأهل التأويل يتمسكون به، ويجعلون القدر القاضي بدخول الجنة أو النار مبنياً عليه؛ لكن للعمل أيضاً نصيباً من

---

[1] موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 3/341-342.

[2] المرجع السابق، 3/346.

[3] انظر: المرجع السابق، ص6-8.

[4] المرجع السابق، ص23.

[5] مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (310)، 1/399-400، وسنن الترمذي، أبوعيسى الترمذي، حديث رقم:(3075)، 5/116، قال الترمذي حديث حسن.

القدر، فإن كان المقدر عمله بعمل أهل الجنة، يعمل به؛ و إن كان المقدر عمله بعمل أهل النار، يعمل به؛ يدل عليه التعبير في الحديث السابق، بقوله: "استعمله بعمل كذا"، و"استعمله بعمل كذا" [1].

ففي هذا الحديث شفاء لدائين، وقطعٌ لشبهتين؛ إحداهما: شبهة إغناء القدر عن العمل، وحمل الناس على الكسل، فالحديث يدلنا على أن القدر يدور مع العمل؛ والثانية: شبهة كون القدر من الله والعمل منا؛ فالتعبير بالاستعمال المسند إلى الله تعالى، يرينا أن عملنا أيضاً من الله، ونحن مسوقون إليه، ومتهيأون به للقدر السابق[2].

2. كذلك في حديث مسلم: عن أبي الأسود، أنه قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس، ويكدحون فيه؛ شيءٌ قضي عليهم، ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو ما يستقبلون، مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيءٌ قضى عليهم ومضى فيهم؛ قال: فقال: أفلا يكون ظلماً، قال: ففزعت من ذلك فزعاً شديداً، وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده؛ فلا يسأل عما يفعل، وهم يسألون؛ قال: فقال لي: يرحمك الله، لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك؛ إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه؛ شيءٌ قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو ما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال:" بل شيء قضى عليهم، ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: 7، 8] "[3]، لذلك مذهب المؤمنين بالقدر لا يستهين بالعمل، ولا يقول باستغناء الإنسان عنه، بل يرى العمل من بشائر القدر، كما أشار إليه حديث: "اعملوا، فكل ميسر لما خلق له"؛ والإنسان لا يزداد سعيه وعمله، لكونه على مذهب المعتزلة، وإنما المزداد سعيه من قدر له الوصول إلى مقصوده، وقدر معه السعي له[4].

3. عن هشام بن حكيم أن رجلاً قال يا رسول الله انبتدئ الأعمال أم قد مضى القضاء فقال إن الله لما اخرج ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار"[5]، كذلك حديث عبد الله بن عمر أنه قال لما نزل ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود: 105] فقال عمر يا نبي الله علام نعمل على أمر قد فرغ منه أم لم يفرغ منه قال على أمر قد فرغ منه وقد جرت به الأقلام ولكن كل ميسر..."[6] الحديث ولما سمعه وأمثاله بعض الصحابة رضي الله عنهم قال ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن، وهو يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم[7].

4. الرد عليهم، من خلال العقل:

1. إن الطاعنين في الإيمان بالقدر وفيهم كثير من علماء هذا الزمان يعيبون هذه العقيدة، القائلة بأن كل شيء في العالم يجري تحت مشيئة الله، وفيه أفعال الإنسان وإراداته؛ بأنها تجر معتقدها إلى الكسل، وتمنعه عن العمل؛ مع أن أصحاب هذه العقيدة، الرادين كل ما يقع في العالم إلى مشيئة الله يقولون إن الإنسان يعمل تحت مشيئة الله، ولا يقولون إنه يكسل ويتوقف عن العمل تحت مشيئة الله [8].

---

(1) موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 350/1.

(2) موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري ص 117.

(3) صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب القدر، باب كيف خلق، حديث رقم:(2650)، 2041/4،

(4) موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 350/3-351.

(5) المعجم الكبير: الطبراني، حديث رقم:(434)، 168/22، والسنة لأبي عاصم حدي رقم: (168)، 73/1، إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(6) سنن الترمذي، الترمذي، حديث رقم: (3111)، 289/5، صححه الألباني.

(7) موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص 223-224.

(8) موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري، 184/1.

2. من أين يحكم أولئك الطاعنون أن الله تعالى يريد لعباده الكسل ولا يريد لهم العمل؟، نعم، يتثاقل من يتثاقل عن السعي بمشيئة الله، ويسعى من يسعى أيضاً بمشيئة الله؛ فلا فرق في مسألة السعي والعطالة بين العقيدتين؛ عقيدة كون الإنسان في قبضة مشيئة الله، وعقيدة كونه مستقلاً في أفعاله؛ ولهذا لم يقع في السلف ترجيح أحد المذهبين المختلفين بين الأشاعرة والمعتزلة في مسألة أفعال الإنسان على الآخر بسبب تأديته إلى العمل والآخر إلى الكسل؛ وإنما حدث هذا الترجيح في زماننا من بعض العلماء الغافلين، تقليداً للجريان الآتي من الغرب الرامي إلى اتهام المسلمين في عقائدهم[1].

3. من ذا الذي يسلم بكون الاعتقاد بالقضاء والقدر يسوق معتقديه إلى العطالة حتى يحتاج إلى تأويل أو اعتذار بوقوع الخطأ في فهم معانيهما من المسلمين المتأخرين فتلك العقيدة بتمام معناها الذي لم يعتره تأويل ولا تبديل رد كل شيء إلى الله والإذعان بأن الأمر كله بيده لكن هذا الرد وهذا الإذعان لا يتضمن قعود الإنسان واضعاً إحدى يديه على الأخرى كالمكتوف وإنما مضمونه أن يعتقد مع عدم التقصير في المساعي التي هي في وسعه، أن مساعيه أيضاً من الله [2].

4. علماء الدين الذين خدعهم اللادينيين بالدعاية ضد عقائد الإسلام يعاكسون الحقيقة في تشخيص المرض ويميلون من غير حاجة إلى مذهب المعتزلة كما فعل الشيخ محمد بخيت ومن قبله الشيخ محمد عبده، وإن قالوا بأفواههم أنهم يؤمنون بالقدر فإنما يقولونه ستراً للنقص الواقع في إيمانهم به، ولو صح إيمانهم به وتم لكانوا شجعاناً لا يلوون عن التضحية بالأموال والأنفس ويستحقرونها في سبيل الغايات السامية، فالأجدر بعلماء الدين أن يجتهدوا في إحياء عقيدة القضاء والقدر وتجديدها لدى المسلمين بدلاً من إضعافها بالتأويل والتعديل في تفسيرها انخداعاً بتسويلات اللادينيين[3].

5. إن الناظر إلى الفرق بين تاريخ الإسلام القديم المعظم وبين تاريخ الإسلام المعدل الذي يحتوى العلماء المائلين إلى أهل التجديد الحديث من حيث يشعرون أو لا يشعرون كاف في فهم سقم ما جناه العقلانيون بالافتراء على ديننا وعلى عقيدة القضاء والقدر، فإن أقمت الحجة عليهم بتأخر المسلمين في الزمن الحاضر بالرغم من تقدمهم في أزمنة الإيمان بالقدر كانت الحجة عليهم أقوم من حجتهم[4].

6. يكفي للرد على العقلانيين النظر في أثر الإيمان بالقضاء والقدر على الإنسان في الدنيا والآخرة فمن يؤمن بالقدر ويرد كل شيء إلى تقدير الله، ينظر في أمره فإن رأى سعيه للخير يستبشر منه كونه من عباد الله الذين خلقهم ليكونوا سعداء فيزيد سعياً على سعيه وإن رأى خلافه واستشعر شقاءه في الدنيا والآخرة يجزع من احتمال كونه من أهل الشقاء في الدنيا والآخرة وينساق من خلال جزعه إلى طريق السعادة كما دل على ذلك حديث رسول اللهﷺ " اعملوا فكل ميسر لما خلق له"[5].

كذلك الإيمان بالقدر يسوق معتقده دائماً إلى السعي والعمل فيرى منفعته في المساعي قائلاً إن لم يثمر أحدهما فسيثمر الآخر ومؤملاً خيراً من أسرار القدر ولا يمكنه تفسير القدر في مصلحته إلا بهذه الطريق لأن المقدر غير معلوم ولا أمارة له غير أفعاله وأعماله[6].

---

[1] المرجع السابق، 184/1-185.

[2] موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص219.

[3] انظر: المرجع السابق، ص220.

[4] انظر: المرجع السابق، ص222-223.

[5] انظر: المرجع السابق، ص223.

[6] المرجع السابق، ص224.

وفي ختام رد الشيخ على منكري القضاء والقدر والداعين إلى إصلاح الإسلام بيَّنَ أن الإسلام لا حاجة له إلى أي إصلاح ومن أراودوا إصلاحه فإنما يحولون إفساده وتجب مقابلتهم بهذا الحس والشعور، نعم إن المسلمين أنفسهم في حاجة إلى الإصلاح وأساس مرضهم ضعف القلب الناشئ من ضعف الدين فيجب على طبيبهم الذي يتعهد مداواتهم أن لا يسلك عكس طريقها كاتهام دينهم والزيادة في إضعافه بل يسعى لإحياء عزة النفس الإسلامية في قلوبهم، فينبغي للمسلم أن يرى ملته فوق كل ملة ويتشدد في اجتناب تقاليد تعد علامة أنه يرجح غير ملته عليها(1).

ثانياً: الرد على زعم العقلانيين أن الإنسان يتمتع بمطلق الحرية في أفعاله وتصرفاته.

وهذا الزعم قد أجاب عليها الشيخ مصطفى صبري أثناء رده على منكري القدر فلا حاجة لتكرار الرد، ويقال للعقلانيين أيضاً: إن الإنسان وإن كان حر الإرادة والاختيار لكنه ليس على الإطلاق، فإن حريته محدودة، ومقيدة بجوانب كثيرة، فهي محدودة بمشيئة الله تعالى، وبحدود المصلحة العامة فإن تصرفات الفرد قد تضر بالجماعة فيلزم ضبطها، كذلك محدودة بحدود الشرع الحكيم، ومحدودة بحدود الغيب المحجوب عن الإنسان في علم الله، وهذه الحدود ليست قيوداً وإنما هي مبنية على مصلحة الإنسان نفسه ومبنية على علم الله العليم الخبير، وتقديره الذي هو عين الحكمة، ومبنية على خضوع الإنسان وتسليمه لله تعالى خالقه ورازقه ووقوعه تحت مشيئته وإرادته(2).

ثالثاً: الرد على زعم العقلانيين أن الإسلام جاء ليحرر الإنسان من الاعتقاد بسلطان القدر، ورفع الوصاية عنه.

زعمُ العقلانيون أن الإسلام جاء ليحرر الإنسان من الاعتقاد بسلطان القدر مخالف لما نص عليه القرآن الكريم وما ورد عن النبي ﷺ من الإيمان بالقضاء والقدر وأن البشر تحت سلطان الله تعالى، وهو زعم بنوا فيه رأياً فاسد على أخر أفسد منه و" كأن كتاب الله المنزل لا ينادي بسلطان مشيئته على كل ما كان وما يكون من هدى وضلال وخير وشر وبأن العباد لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله وأنهم كونهم أصحاب إرادة ومشيئة لا يشاءون إلا أن يشاء الله، يُنسى كل هذا أو يُتناسى تحت غلبة التيار العقلي العصري"(3)، ثم يزعمون أن كتاب الله جاء يحرر الإنسان من الاعتقاد بالقدر خيره وشره، فإذا قيل لهم ما دليلكم على أن الإسلام جاء ليحرر الإنسان من سلطان القدر من القرآن أو السنة فلن يأتوا بشيء يعتد به.

بل إن الأدلة جاءت بعكس ما ذهبوا إليه منذرة لهم باللعن والطرد من رحمة الله تعالى، وقد بين الشيخ مصطفى صبري أن الأفكار الحادثة ضد الإيمان بالقدر ينطبق عليها أحاديث النبيﷺ في ذم المكذبين بالقدر أي الذين لا يؤمنون بأن الله خالق كل خير وشر، والغير مذعنين بأن قوة البشر في قبضة مدبر الكائنات ومصرف الحادثات وتحت سلطانه(4) مثل:

1. أخرج الإمام أحمد في مسنده عن النبيﷺ قال:" سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر"(5).
2. أخرج الحاكم في المستدرك عن النبيﷺ قال: "ستة لعنتهم، ولعنهم الله وكل نبي مجاب، الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت، فيعز بذلك من أذله الله، ويذل من أعزه الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله التارك لسنتي"(6).

(1) المرجع السابق، ص222.

(2) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر العقل، ص335.

(3) موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص29.

(4) انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص25-26.

(5) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، حديث رقم(5639)، 456/9، وأخرجه الحاكم في المستدرك حديث رقم(285)، الحديث حسن.

(6) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله النيسابوري، حديث رقم: (3940)، 571/2، والترمذي في صحيحه، حديث رقم:(2154)، 457/4.

3. وجاء في المعجم الكبير، عن النبيﷺ أنه قال:" أخاف على أمتي بعدى ثلاثاً حيف الأئمة وإيماناً بالنجوم وتكذيباً بالقدر"[1].

فالنذر الواردة في الأحاديث السابقة موجه إلى العقلانيين المقتفين آثار الغربيين خصماء الله في القدر الذين قال فيهم ابن القيم:" والمخاصمون في القدر نوعان أحدهما: من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا والثاني: من ينكر قضاءه وقدره السابق والطائفتان خصماء الله"[2].

فمن كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام، "وإنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد وكتابها وتقديرها وسلف القدرية كانوا ينكرون علمه بها وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم"[3].

فحال العقلانيون ينطبق عليهم قول الإمام ابن القيم:" الله أكبر على هؤلاء الملاحدة أعداء الله حقاً الذين ما قدروا الله حق قدره، ولا عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه، ولا نزهوه عما لا يليق به، وبغضوه إلى عباده وبغضوهم إليه سبحانه، وأساؤوا الثناء عليه جهدهم وطاقتهم، وهؤلاء خصماءُ الله حقاً الذين جاء فيهم الحديث: "يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةَ: أَيْنَ خُصَمَاءُ الله؟ فَيُؤمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ"[4]، وماذا عسى أن يقول ابن القيم فيمن استدل بالإسلام على تحرير الإنسان من سلطان القدر، لقد حُقَ للشيخ مصطفى صبري أن يسمي كتابه موقف البشر تحت سلطان القدر وأن يصنفهم ضمن خصماء الله في القدر فهذا أقل وصف لهم[5].

الخاتمة.

توصل الباحثان من خلال هذا البحث لمجموعة من النتائج والتوصيات التي استفادا منها نوضحها في التالي:

أولاً: أهم النتائج:

1. تدور تعريفات العلماء للمدرسة العقلية حول الاتجاهات العقلانية التي ظهرت في القرنين الأخيرين، والتي تغالي في تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين، وتعطي العقل وأحكامه اعتباراً فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تعالى ورسوله ﷺ.
2. نشأت المدرسة العقلية الحديثة إبان ضعف الدولة العثمانية، وفي حالة للأمة يغمرها الجهل والتخلف، متأثرة بالحضارة الغربية التي بهرتها.
3. اضطربت آراء المدرسة العقلية الحديثة في عقيدة القضاء والقدر بين منكر لها أو متبني لأفكار المعتزلة أو أخذ برأي الجبرية وفق النظريات الغربية النفسية الإلحادية التي تؤمن أن الإنسان مسير بهذا الكون وفق العوامل الطبيعية.
4. يعد الشيخ محمد عبده من الأوائل الذين فتحوا الباب في الحديث عن عقيدة القضاء والقدر متبنياً آراء المعتزلة دون التصريح بذلك، ثم تتابع تلاميذ المدرسة العقلانية على نهج شيخهم، بل أوغلوا في مقالة إنكار القدر والزعم أن الإيمان به سبب تأخر المسلمين عن ركب الحضارة.
5. دعوى أن الإيمان بالقضاء والقدر تدفع صاحبها إلى الكسل والخمول انطلقت من أروقة الغربين الملاحدة وغيرهم من النصارى، ثم تأثر بها رواد المدرسة العقلية الحديثة فكانوا بين مصدق لتلك الدعايات أو منكراً لها واصفين مذهب الأشاعرة بها.
6. سعى العقلانيون إلى إنكار عقيدة القضاء والقدر وتبنوا آراء المعتزلة في القضاء والقدر معتبرين أن الإنسان له كامل الحرية في أفعاله وأنه هو خالقها.

---

[1] المعجم الكبير: الطبراني، حديث رقم:(1853)، 208/2، أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة، حديث رقم (٧٠١٥) واللفظ له، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، حديث رقم، (١٤٨٢)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، حديث رقم، 214.

(2) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم، ص28.

(3) المرجع السابق نفسه.

(4) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، ص86.

(5) انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، ص235.

7. للشيخ مصطفى صبري جهود جبارة في كشف أضاليل المدرسة العقلية الحديثة والرد عليها من خلال مقالاته وكتبه، التي صرح فيها بأسمائهم ونقل أقوالهم ورد عليها.
8. لقد بين الشيخ مصطفى صبري بطلان مزاعم المدرسة العقلية الحديثة في القدر من خلال الكتاب والسنة والعقل.
9. دعوى إنكار القضاء والقدر واستبداله بآراء المعتزلة المنقرضة والتي حاربها السلف الصالح هي دعوى لهدم الإسلام، وهدم الركن السادس من أركان الإيمان.

ثانياً: التوصيات.

1. تسليط الضوء على جنايات المدرسة العقلية الحديثة على الإسلام والمسلمين والعمل على تحذير المسلمين من خطرهم من خلال المقالات والرسائل العلمية والأبحاث والمؤتمرات.
2. عمل دراسة علمية خاصة بالرد على المدرسة العقلية الحديثة في مسألة القضاء والقدر وبيان الصلة بين مزاعمهم في القضاء والقدر وبين مزاعم الغرب فيه.

المصادر والمراجع.

أولا: المراجع العربية:

- **القرآن الكريم.**

الاتجاهات العقلانية الحديثة، ا.د. ناصر العقل، دار الفضيلة، الرياض، ط (1)، 1422هـ.

أجنحة المكر الثلاث، عبد الرحمن بن حسن حنبكة، دار القلم – دمشق، ط (8)، 1420 هـ – 2000 م

أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط (1)، 1419هـ–1998م.

الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، د. مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط (1)، 1425هـ–2004م

الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، دار الشروق، ط (14)، 1407هـ–1987م.

أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط(1)، 1421هـ.

الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة الهجرية، زكي مجاهد، مكتبة مجاهد، القاهرة، ط (1).

الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، ط (7)،، بيروت – لبنان، 1986م.

التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، حسن حنفي، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة، 1980م.

التفسير والمفسرون: محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط (1)، بيروت، 2001م.

جامع الرسائل أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية، د. محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط(1)، 1422هـ–2001م.

جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط(1)، 1414هـ–1994.

حوار هادئ مع محمد الغزالي: سلمان بن فهد عودة، دار الهجرة، ط٣، رياض،١٤١٠هـ

دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، مصطفى فوزي غزال، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، ط(1)، 1403هـ-1983م.

رسالة التوحيد، محمد عبده، تصحيح محمد رشيد رضا، دار المنار المصرية، ط(11)، 1365هـ.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط(1)، 1415 هـ - 1995 م.

السنة لأبي عاصم

سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط(2)، 139 هـ - 1975 م.

شرح أصول العقيدة الإسلامية، د. نسيم ياسين، ط(7)، 1436هـ-2015م.

شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط (2)، 1403هـ - 1983م.

شرح العقيدة الطحاوية، على بن على الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد - 1418هـ.

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398هـ/1978م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط(4)، 1407 هـ - 1987 م.

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، ط(1)، 1422هـ.

صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ضوابط لفهم عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في ضوء القرآن والسنة، محمد إدريس خلف الله ط(1)، 1416 هـ - 1995 م.

طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط (2)، 1394هـ.

العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، ط(2)، 1422هـ-2001م.

العقائد الإسلامية: سيد سابق، دار الكتاب العربي - بيروت.

علم القضاء والقدر، أو سر تأخر المسلمين، أحمد بدوي النقاش، مطبعة السعادة، مصر، 1929م.

عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط(1)، 1417 هـ - 1996 م.

العين، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، تحقيق، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفتاوي: محمود شلتوت، دار الشرق، القاهرة، ط(9)، 1398هـ.

فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط(1)، 1422هـ - 2002م.

القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط(8)، 426 هـ - 2005م.

القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة، محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1967م.

القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه: د. عبد الرحمن الحمود، دار الوطن، الرياض، ط(2)، 1418هـ-1997م.

قواعد المنهج في علم الاجتماع، إميل دوركايم، ترجمة: محمود قاسم، السيد محمود بدوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م.

لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ،

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط(2)، 1402 هـ - 1982 م.

مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1995م.

مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، ط (الأخيرة)، 1413 هـ.

المحكم والمحيط الأعظم علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط(1)، 1421 هـ - 2000 م.

مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط(5)، 1420هـ - 1999م.

المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده، خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت

المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من الحديث الشريف تركيا نموذجاً، نجمية أردول

المستدرك على الصحيين، أبو عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط (1)، 1411هـ - 1990م.

مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة

مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقاً، د. مفرح القوسي، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، 2006م

معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق، عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، ط(1)، 1410 هـ - 1990م.

معالم السنن، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المطبعة العلمية – حلب، ط(1)، 1351 هـ - 1932 م.

المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، د. محمد عمارة، دار الشروق، ط(2)، 1408هـ-1988م.

المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط(2).

المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأخرون، دار الدعوة.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.

معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط (1)، 1419 هـ – 1998م.

معضلات المدينة الحديثة، إسماعيل مظهر، دار العصور، القاهرة، 1928م

المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ط(1)، 1412 هـ

مقدمة المصحف المفسر: محمد فريد وجدي، تحقيق: إبراهيم على سالم.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط(2)، 1392هـ.

منهج الإمام جمال الدين السُّرَّمَرِّي في تقرير العقيدة، خالد بن منصور المطلق، ، ط (1)، 1436هـ–2015م.

منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، أحمد بن علي الزاملي عسيري، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1431هـ.

منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومين مؤسسة الرسالة، الرياض، ط (2)، 1403هـ–1983م.

منهج المدرسة العقلية الحديثة وتقويمها في الإصلاح المعاصر .أ.د. عبد الله الطريقي.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط(4)، 1420هـ،

موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، سعيد العتيبي، مركز الفكر المعاصر، ط(2)، 1432هـ–2013م.

موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1352هـ.

موقف الرازي من القضاء والقدر في التفسير الكبير، أنفال يحيي إمام، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1432هـ–2011م.

ثانياً: المواقع الإلكترونية والمجلات العلمية.

1. مقالة بعنوان: منهج المدرسة العقلية الحديثة وتقويمها في الإصلاح المعاصر .أ.د. عبد الله الطريقي، https://www.alukah.net/culture/0/56131/#ixzz5mKObZ7Oe
2. مجلة الأزهر.
3. مجلة المنار.
4. مجلة الجامعة الإسلامية –غزة–.
5. مجلة المقتطف.
6. مجلة الهلال .
7. مجلة الرسالة.

ثانياً: قائمة المراجع المرومنة:

First:List of sources and references:

The Holy Quran

Modern Rationalist Trends, (In Arabic), Prof. Dr. Nasser Al-Aql, Dar Al-Fadilah, Riyadh, I (1), 1422 AH.

The Three Wings of Deception, (In Arabic), Abd al-Rahman bin Hassan Hanbaka, Dar al-Qalam - Damascus, I (8), 1420 AH - 2000 AD

The basis of rhetoric, (In Arabic), al-Zamakhshari, investigation: Muhammad Basil Oyoun al-Soud, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, I (1), 1419 AH-1998 AD.

The hidden secrets behind the abolition of the Ottoman Caliphate, (In Arabic), d. Mustafa Helmy, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, I (1), 1425 AH - 2004 AD

Islam is a Creed and a Law, (In Arabic), Mahmoud Shaltout, Dar Al-Shorouk, I (14), 1407 AH-1987AD.

The Origins of Faith in the Light of the Book and the Sunnah, (In Arabic), Elite Scholars, Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call and Guidance, Kingdom of Saudi Arabia, I (1), 1421 AH.

The Oriental Flags in the Fourteenth Hijri Percent, (In Arabic), Zaki Mujahid, Mujahid Library, Cairo, I (1).

Al-Alam, (In Arabic), Khair Al-Din bin Mahmoud bin Muhammad Al-Zarkali, Dar Al-Ilm for Millions, 7th edition, Beirut - Lebanon, 1986 AD.

Heritage and Renewal, Our Position on Ancient Heritage, (In Arabic), Hassan Hanafi, The Arab Center for Research and Publishing, Cairo, 1980.

Interpretation and commentators, (In Arabic), Muhammad Al-Sayyid Hussein Al-Dhahabi, Wahba Library, Cairo.

Refining the language, (In Arabic), Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi, investigation: Muhammad Awad Mereb, House of Revival of Arab Heritage, I (1), Beirut, 2001 AD.

The Collector of Letters, (In Arabic), Ahmed bin Abdul Halim, Ibn Taymiyyah, d. Muhammad Rashad Salem, Dar al-Atta', Riyadh, i (1), 1422 AH - 2001 AD.

The Collector of the Statement of Knowledge and Its Virtue, (In Arabic), Yusuf bin Abdullah bin Muhammad Al-Qurtubi, investigation: Abi Al-Ashbal Al-Zuhairi, Dar Ibn Al-Jawzi, Saudi Arabia, I (1), 1414 AH-1994.

A Quiet Dialogue with Muhammad Al-Ghazali, (In Arabic), Salman bin Fahd Odeh, Dar Al-Hijrah, 3rd Edition, Riyadh, 1410 A.H.

The Call of Jamal al-Din al-Afghani in the Balance of Islam, (In Arabic), Mustafa Fawzi Ghazal, Dar Taiba, Saudi Arabia, I (1), 1403 AH-1983 AD.

Risalat al-Tawhid, Muhammad Abdo, (In Arabic), corrected by Muhammad Rashid Rida, Dar al-Manar al-Masryah, I (11), 1365 AH.

The series of authentic hadiths and some of their jurisprudence and benefits, (In Arabic), Muhammad Nasir al-Din al-Albani, Knowledge Library for Publishing and Distribution, Riyadh, I (1), 1415 AH - 1995 AD.

The year for Abu Asim(In Arabic),

Sunan Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa Al-Tirmidhi, investigation, (In Arabic), Ahmed Shaker and others, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press Company, Egypt, I (2), 139 AH - 1975 AD.

Explanation of the origins of the Islamic faith, (In Arabic), d. Naseem Yassin, I (7), 1436 AH - 2015 AD.

Sharh al-Sunnah, (In Arabic), Abu Muhammad al-Husayn ibn Masoud ibn Muhammad ibn al-Fara al-Baghawi, investigation: Shuaib al-Arna`ut - Muhammad Zuhair al-Shawish, Islamic Bureau - Damascus, Beirut, I (2), 1403 AH - 1983 AD.

Explanation of the Tahawiyah Creed, (In Arabic), Ali bin Ali Al-Hanafi, investigation: Ahmed Shaker, Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call and Guidance -1418 AH.

Healing the sick in matters of fate, destiny, wisdom and reasoning, (In Arabic), Ibn al-Qayyim al-Jawziyya, Dar al-Maarifa, Beirut, Lebanon, 1398 AH - 1978 AD.

Al-Sahih Taj Al-Lughah wa Sahih Al-Arabiya, (In Arabic), Ismail bin Hammad Al-Gawhari Al-Farabi, investigation: Ahmed Abdel-Ghafour Attar, Dar Al-Ilm for Millions - Beirut, I (4), 1407 AH - 1987 AD.

Sahih Al-Bukhari, (In Arabic), Muhammad bin Ismail Al-Bukhari, Dar Touq Al-Najat, I (1), 1422 AH.

Sahih al-Sagheer and its additions, (In Arabic), Muhammad Nasir al-Din al-Albani, Islamic Bureau

Sahih Muslim, (In Arabic), Muslim bin Al-Hajjaj Verified by: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut.

Guidelines for Understanding the Doctrine of Belief in Destiny and Destiny in the Light of the Qur’an and Sunnah, (In Arabic), Muhammad Idris Khalaf Allah, I (1), 1416 AH - 1995 AD.

The Path of the Two Emigrations and Bab al-Saadatin, (In Arabic), Ibn al-Qayyim, Dar al-Salafiya, Cairo, Egypt, I (2), 1394 AH.

Modernists between the allegations of renewal and the fields of Westernization, (In Arabic), Muhammad Hamid Al-Nasser, Al-Kawthar Library, Riyadh,I (2), 1422 AH - 2001 AD.

Islamic Beliefs, (In Arabic), A former master, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut.

The Science of Fate and Destiny, or the Secret of the Muslims’ Delay, (In Arabic), Ahmed Badawy Al-Naqqash, Al-Saada Press, Egypt, 1929 AD.

Umdat al-Hafiz fi Tafsir Ashraf al-Wafs, (In Arabic), Ahmed bin Youssef bin Abdul-Daim, investigation, (In Arabic), Muhammad Basil Oyoun al-Soud, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, I (1), 1417 AH - 1996 AD.

Al-Ain, Al-Khalil bin Ahmed bin Amr Al-Farahidi, investigation, (In Arabic), Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Al-Hilal House and Library.

Al-Fatwas, (In Arabic), Mahmoud Shaltout, Dar Al-Sharq, Cairo, I (9), 1398 AH.

Philosophy of Language and the Secret of Arabic, Abd al-Malik ibn Muhammad ibn Ismail al-Thaalbi, investigated by: Abd al-Razzaq al-Mahdi, The Revival of Arab Heritage, I (1), 1422 AH - 2002 AD.

The Ocean Dictionary, (In Arabic), Muhammad bin Yaqoub Al-Fayrouzabadi, investigation: Heritage Investigation Office at Al-Resala Foundation, Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, I (8), 426 AH - 2005 AD.

The Qur’an and the Problems of Our Contemporary Lives, (In Arabic), Muhammad Ahmad Khalaf Allah, Anglo-Egyptian Library, Cairo, 1967 AD.

Al-Qadar and Predestination in the Light of the Book and the Sunnah and the Doctrines of the People in it, (In Arabic), Dr. Abdul Rahman Al-Hamoud, Dar Al-Watan, Riyadh, I (2), 1418 AH-1997AD.

The Rules of Curriculum in Sociology, (In Arabic), Emile Durkheim, translated by: Mahmoud Qassem, Mr. Mahmoud Badawy, Dar al-Marefa al-Jami’iyya, Alexandria, 1988 AD.

Lisan al-Arab, (In Arabic), Muhammad bin Makram Ibn Manzoor, Dar Sader, Beirut, 3rd edition, 1414AH,

The Shining Lights and Shining Archaeological Secrets, (In Arabic), Muhammad bin Ahmed bin Salem Al-Saffarini, Al-Khafiqin Foundation and its Library - Damascus, I (2), 1402 AH - 1982 AD.

Total Fatwas, (In Arabic), Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah, Abdul Rahman bin Muhammad bin Qasim, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur’an, the Prophet’s City, Kingdom of Saudi Arabia, 1416 AH-1995 AD.

Collection of Fatwas and Letters of His Eminence Sheikh Muhammad bin Saleh Al-Uthaymeen, (In Arabic), Muhammad bin Saleh bin Muhammad Al-Uthaymeen, compiled and arranged by: Fahd bin Nasser bin Ibrahim Al-Sulaiman, Dar Al-Watan - Dar Al-Thuraya, I(the last), 1413AH.

The Arbiter and the Greatest Ocean, (In Arabic), Ali bin Ismail bin Sayyida Al-Mursi, investigation by Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, I (1), 1421 AH - 2000 AD.

Mukhtar Al-Sahah, (In Arabic), Muhammad bin Abi Bakr Al-Razi, Youssef Al-Sheikh Muhammad, Al-Asriya Library - Al-Dar Al-Tamaziah, Beirut - Saida, I (5), 1420 AH - 1999 AD.

The dedicated, (In Arabic), Ali bin Ismail bin Sayda, Khalil Ibrahim Jaffal, House of Revival of Arab Heritage, Beirut

The modern mental school and its position on the hadith, Turkey as a model, (In Arabic), Najmiya Ardol

Al-Mustadrak Ali Al-Sahiheen, Abu Abdullah Al-Nisaburi, investigation, (In Arabic), Mustafa Abdel-Qader Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut, I (1), 1411 AH - 1990 AD.

Musnad of Imam Ahmad, Imam Ahmad bin Hanbal, investigation, (In Arabic), Ahmad Muhammad Shakir, Dar al-Hadith - Cairo

Mustafa Sabri, the Islamic thinker, (In Arabic), the global scientist, and the Sheikh of Islam in the former Ottoman Empire, d. Mufreh Al-Qousi, Dar Al-Qalam, first edition, Damascus, 2006 AD

Ma’arij al-Qasoul with an explanation of the ladder of access to the science of origins, (In Arabic), Hafez bin Ahmed Hakami, investigation, Omar bin Mahmoud Abu Omar, Dar Ibn al-Qayyim - Dammam, I (1), 1410 AH - 1990 AD.

Milestones of Sunan, (In Arabic), Hamad bin Muhammad bin Ibrahim bin Al-Khattab Al-Basti, Scientific Press - Aleppo, I (1), 1351 AH - 1932 AD.

Mu'tazila and the problem of human freedom, (In Arabic), d. Muhammad Emara, Dar Al-Shorouk, I (2), 1408 AH-1988 AD.

The Middle Lexicon, (In Arabic), Suleiman bin Ahmed Al-Tabarani, verified by: Tariq bin Awad Allah bin Muhammad, Abdul Mohsen bin Ibrahim Al-Husseini, Dar Al-Haramain - Cairo.

The Philosophical Dictionary of Arabic, French, English and Latin Words, (In Arabic), d. Jamil Saliba, Lebanese Book House, Beirut.

The Great Lexicon, (In Arabic), Suleiman bin Ahmed bin Ayoub Al-Tabarani, investigation: Hamdi bin Abdul Majeed Al-Salafi, Publishing House: Ibn Taymiyyah Library - Cairo, I(2).

Intermediate Lexicon, (In Arabic), Ibrahim Mustafa and others, Dar al-Da`wah.

A Dictionary of Language Measures, (In Arabic), Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, investigation, Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.

Knowledge of the Companions, (In Arabic), Abu Naim Ahmed bin Abdullah bin Ahmed Al-Asbahani, investigation: Adel bin Youssef Al-Azzazi, Al-Watan Publishing House, Riyadh, I (1), 1419 AH - 1998 AD.

Dilemmas of the Modern City, (In Arabic), Ismail Mazhar, House of Ages, Cairo, 1928A.D

Vocabulary in the Stranger of the Qur’an, (In Arabic), Al-Hussein Bin Muhammad known as Al-Ragheb Al-Isfahani, achieved by: Safwan Adnan Al-Daoudi, Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya - Damascus Beirut, I (1), 1412 A.H.

Introduction to the Interpreted Qur'an, (In Arabic), Muhammad Farid Wagdy, investigation: Ibrahim Ali Salem.

Al-Minhaj Explanation of Sahih Muslim Bin Al-Hajjaj, (In Arabic), Abu Zakaria Muhyi Al-Din Yahya Bin Sharaf Al-Nawawi, House of Revival of Arab Heritage - Beirut, I (2), 1392 AH.

The Approach of Imam Jamal Al-Din Al-Sarmari in Determining the Creed, (In Arabic), Khalid bin Mansour Al-Mutlaq, I (1), 1436 AH - 2015 AD.

Sheikh Abdul Razzaq Afifi's Approach and His Efforts in Deciding the Creed and Responding to Contradictions, (In Arabic),Ahmed bin Ali Al-Zamili Asiri, Master's Thesis, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Kingdom of Saudi Arabia, 1431 AH.

The Approach of the Modern Intellectual School in Interpretation, (In Arabic), Fahd Al-Romin, Al-Resala Foundation, Riyadh, I (2), 1403 AH-1983AD.

The curriculum of the modern mental school and its evaluation in contemporary reform. (In Arabic), Abdullah Al-Tariqi.

The Facilitated Encyclopedia of Contemporary Religions, Doctrines and Parties, (In Arabic), *The International Symposium for Muslim Youth, Dar Al-Nadwa International for Printing, Publishing and Distribution, I (4), 1420 AH,*

The Position of the Contemporary Islamic Rational Trend from the Shari'a Text, (In Arabic), Saeed Al-Otaibi, Center for Contemporary Thought, I (2), 1432 AH-2013 AD.

The Position of Humans Under the Sultan of Destiny, (In Arabic), Mustafa Sabry, Salafi Press and Library, Cairo, 1352 AH.

Al-Razi's Position on Judgment and Predestination in the Great Interpretation, (In Arabic), Anfal Yahya Imam, Master's Thesis, Umm Al-Qura University, 1432 AH-2011AD.

Second: Websites and scientific magazines.

An article entitled: The curriculum of the modern mental school and its evaluation in contemporary reform(In Arabic), Abdullah Al-Tariqi,

https://www.alukah.net/culture/0/56131/#ixzz5mKObZ7Oe

Al-Azhar magazine.

Al-Manar magazine.

The magazine of the Islamic University - Gaza -.

magazine Snippet.